

3^{me} Année, No. 106.

بذل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في المراق بالبريد السريع
١ نحن العدد الواحد

الأعلانات بتفق عليها مع الإدارة

الدراسة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-15-7-1935

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها الشئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع البدولي رقم ٣٢

مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١٠٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ - ١٥ يوليو سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

المبتلى الزى لا يموت

٢ - الشيخ محمد عبده

بمناسبة ذكره الثمانين

تولدت حيوية الامام القوية من جيلة أبيه الحرة في « حلة نصر » ، وتكونت نفسيته الدينية من صوفية خاله النقية في « كنيسة أورين » ، وتفتحت عقله العلمية في شمس جمال الدين المشرقة بالقاهرة ؛ فكانت سر الوراثة يُجبره في الاعتقاد على الاخلاص ، وفي الزم على المضاء ، وفي القول على الصراحة ، وفي العمل على الجراءة ، وفي الحياة على التمرد ؛ فالقلق المقدس الذي يشبه في الحكماء ، الأرهاص في الأنبياء ، كان لا يفتأ منذ الحداثة يساوره في كل هم يحاوله ، وعمل يزاوله ، وموضع يستغرفه ؛ وذلك القلق مبغته في المصلح صفاء النفس ولطف الحس وحدة القطنة ، فهو وحده يدرك النقص فيروم الكمال ، ويلحظ الخطأ فيطالب الصواب ، ويسأم الركود فيبتغي التحول ؛ ولذلك كان الامام لا يُكره طبعه على حال ، ولا يلبس سمه على رأى ، ولا يملك لسانه عن نقد ، ولا يكف عزمه عن تغيير ، ولا ينجزل جهله عن إصلاح دخل المهسد الأحادي بفهم بالتلم لفساد الطريقة وسوء

فهرس العدد

صفحة	
١١٢١	الشيخ محمد عبده : أحمد حسن الزيات
١١٢٣	فلسفة الطائفة : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١١٢٧	حول المسجد : الأستاذ أحمد أمين
١١٢٨	بين الأسطورة والتاريخ : الأستاذ محمد عبد الله عنان
١١٣١	التشجيع . . . : الأستاذ طي الطنطاوي
١١٣٥	التهضة التركية الأخيرة : الدكتور عبد الوهاب مزاح
١١٣٩	للمؤتمر الثامن للجمعية الطبية المصرية : الأستاذ من الدين التنوخى
١١٤١	للذهب الواقعي وفن الدراما : محمد رشاد رشدي
١١٤٣	شاعرنا العالي أبو النخاس : الأستاذ عبد المتعال الصيدي
١١٤٥	محاوالت أفلاطون : الأستاذ زكي نجيب محمود
١١٤٨	زهرة (قصيدة) : الأستاذ جيل صدق الزهاوي
١١٤٩	تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا : الأستاذ خليل منداوي
١١٥١	ببشي وكوييد (قصة) : الأستاذ دروي خشيبة
١١٥٤	بداء الفاي (أفصومة) : الأستاذ محمود . ا . السيد
١١٥٧	تبسيط اللغة الانكليزية واهتمام الانكليز بنشرها . أزمة الديموقراطية
١١٥٨	رسائل جديعة لشارلس دكنز . وليم كويت . الذكرى الثلاثون للامام محمد عبده
١١٥٩	فتح العرب لمصر (كتب) : الأستاذ محمد بك كرد علي فنون الطهي الحديث

ذلك سر الوراثة الفسلجية عن أبيه القروى الفقير الباسل ؛
أما سر الوراثة الروحية عن خاله اتقى المارف ، فرجوعه إلى
مشارع الدين الصافية ، وعقائد القرآن الأولى . قال ذات يوم
لخاله : ما طريقتكم ؟ قال : الاسلام ؛ قال : وما وردكم ؟ قال :
القرآن . فلم يتبع منذ يومئذ غير سبيل المؤمنين ومنهاج الأئمة :
أيقظ همه للاسلام فحرق عقائده من الأفهام ، وقطع عنه ألسنة
البشرين والمستعمرين بالأدلة النواهض والحجج الملمزة ؛ وجعل
عزمه للقرآن ففاز منه برياض موقنة ، وأعلام بينة : فبراهين
قضاه من قواعده ، وبينات دعواه من شواهد ، ومضامين
عبرياته من هديه ، وأفانين بلاغته من وحيه ، وعناوين مقالاته من
آيه ؛ فكانه رسول الرسول ظهر في عصر العلم الشاك والمدنية
الملحدة ليكشف عما غيب الله من نور الكتاب وسره .

أما سر الوراثة العقلية عن أستاذه الحكيم الثائر ، فذلك
النفوذ البعيد في علوم الفلسفة ، والبصر الشديد بضرور المعرفة ،
والإلمام المحيط بثقافة العصر ، والعلم الواسع بقواعد العمران
وتاريخ الأديان وطبائع الشعوب وأخبار الأمم ؛ وسر النتائج
في هذه الوراثة الثلاث : طبع ذكي ، ونبوغ فطري ، ونفحة
من روح الله ليميد كلته على لسانه ، ويثبت شريعته عن قلبه

كان الامام محمد عبقرية فائرة نافذة لاتعرف القيود
ولا الحدود ولا السطحية ، ولكنها انحصرت بحكم الظروف في
الاصلاح الديني ، فوفقت بين الدين الذي تأخر ، والعلم الذي تقدم ،
موقف ابن رشد وابن سينا من قبل : تحاول التاليف بين القلب
والعقل ، والتوفيق بين الرأي والنقل ، فذهب أكثر جهده بإطلاق
بين الجامدين الذين يرون في تجديد الدين بالعلم بدعة ، وبين المرفقين
الذين يرون في تقييده العلم بالدين رجعية ؛ فلأنه عاجل الاصلاح
الاجتماعي من طريق العلم ، أو السياسي من طريق الحكم ، لدفع الأمة
إلى الامام قرناً على الأقل

وبعد ، فإن في ميدان الأزهر الجديد موضع المثال العتيق لمجد
الاسلام ومصلح الأزهر ؛ ولو كنا اقترحنا هذا الاقتراح في عهد
(الفلان) وأشبابه لاستغفروا الجهل سبعين مرة ، ولكننا
نقترحه اليوم في عهد المراعي تلميذ الامام وخليفته ؛ فهل يتحقق
الظن ويصدق الأمل ؟

محمد حسن الزيات

الكتب ، فكان وكده طول عمره أن ينمش الدين من هذا
الخمود ، ويخرج الأزهر من هذه الفوضى ، وينقذ الطلاب من
هذا الفتنة ؛ وظهرت مقالاته في (الأهرام) وهو لا يزال في
صدر الطلب تحمل دعوة هذا العقل المتجدد المتمرد إلى العلوم
العقلية ، والمارف المصرية ، والأدب المنتج ؛ ثم تولى رئاسة
المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية فثار على الأساليب الكتابية
في الدواوين ، والتقاليد الادارية في الحكم ، والبدع الفاشية في
الدين ، والمادات المنكرة في المجتمع ؛ وكانت مقالاته في (الوقائع
المصرية) دستوراً للغة ، ونظاماً للكتابة ، ومنهاجاً للفضيلة ،
قام على نفاذها سلطان من شجاعته وقوة من نفوذه

ثم شايخ الترايين في الفضيلة المصرية الأولى مشايمة البصير
الحازم ، فأعقبته النفي إلى سورية ؛ وهناك دله ذلك الشهور النبوى
فيه إلى ما جره سوء سياسة السلطان ، من انفراج الحال بين الأديان ،
وجفاف الثرى بين الاخوان ، فوضع دستوراً لاصلاح التعليم
الديني قدمه إلى شيخ الاسلام ، ومشروعاً لاصلاح القطر السوري
قدمه إلى والي بيروت ، ولو أخذت بهما الحكومة العثمانية
لكان شأنها غير ذلك الشأن ، وعاقبتها غير هذه العاقبة

ثم اتسع أفق تفكيره ، وانفسح مدى نظره ، فراحه حال
المسلمين من قناعتهم بالدون ، واستناعتهم إلى الهون ، وقعودهم
عن مسابقة التقدم ، فوافى الافغانى إلى باريس ، ودعا في (المروة
الوقت) أشتات الأمة إلى الوحدة ، وأموات الجهالة إلى البعث ،
وأسرى العبودية إلى التحرر

ثم ولوه بعد المعو عنه القضاء ، فلام بين الأحكام المدنية
والدينية ، وهاوى في النظام بين الحاكم الأهلية والشرعية ،
وارتجل لهذه من الاصلاح ما حقق من وجودها النفع ، وجدد
في قضائها الثقة ، وضمن لقضائها التنفيذ

ثم عاد فحصر إصلاحه الداخلى والخارجى ، الدينى والمدنى ،
في إصلاح الأزهر ، لأنه منشأ الدعاة والمهداة والقضاة والعلمدين في
مصر وغير مصر ، فاذا قلبه على الوضع الذى يريد فقد وضع
المسكوة على أصل الملة ، واختصر الطريق إلى بلوغ الغاية ؛
ولكن أبالهب وأشباعه في الجامع وفى القصر أرادوا أسفاه أن
يطفئوا بأفواههم نور الله ، فأطفأوا بكيدهم سراج حياته !!

فلسفة الطائشة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

... وهذا مجلس من مجالس الطائشة مع صاحبها، مما تسقطه من حديثها؛ فقد كان يكتب عنها ما تُصيب فيه وما تخطفه، كما يكتب أهل السياسة بعضهم عن بعض إذا فاز الحليف حليفه أو ناكراً الخصم خصمه؛ فإن كلام الحبيب والسياسي الداهية ليس كلام التكتل وحده، بل فيه نطق الدولة.... وفيه الزمن يُقبل أو يُدير

وصاحب الطائشة كان يراها امرأة سياسية كهذه الدُول التي تُرغم صديقاً على الصداقة لأنه في طريقها أو طريق حوادثها. وكان يحميها « جيش احتلال »، إذ حطت في أيامه واحتلتها فتبوات منها ما شاءت على رغبة، واستباححت ما أرادت مما كان يحميه أو يمنعه. وقد كان في مدافعتها عنها واستمساكه بصداقتها كالذي رأى ظل شيء على الأرض فيحاول غسله أو كنهه أو تنظيته... فهذا ليس مما يُنسل بالاء ولا يكنس بالكسنة ولا يغطى بالأغطية، إنما إزالته في إزالة الشبح الذي هو يلقيه أو إطفاء النور الذي هو يُثبته

في كل شيء على هذه الأرض سُخرية، والسُخرية من الحسن القان الذي تقدسه، تأتي من اشتباه هذا الحسن؛ فذاك إسقاطه سقوطاً مقدساً... أو ذاك تقدسه إلى أن يسقط، أو هو يحيلُ تقدسه باباً من الحيلة في إسقاطه. لا بد من سُفل مع الطو يكون أحدها كالسُخرية من الآخر؛ فإذا قال رجل لامرأة قد قُتنته أو وقت من نفسه: « أجبك » أو قالها المرأة لرجل وقع من نفسها أو استهاسها، ففي هذه الكلمة الناعمة اللطيفة كل معاني الوقاحة الجنسية، وكل السُخرية المحبوب سُخرية بأجلال عظيم... وهي كلمة شاعر في تقدس الجمال والاحجاب به، غير أنها هي بعينها كلمة الجزار الذي يرى الخروف في جماله اللحمي الدهني، فيقول: « تخمين... »

لهذا يمنع الدين خلوة الرجل بالمرأة، ويحرم إظهار الفتنة من الجنس للجنس، ويفصل معاني الحجاب بين السالب

والوجب، ثم يضع لأعين المؤمنين والمؤمنات حجاباً آخر من الأمر بفض البصر، إذ لا يكفي في ذلك حجاب واحد، فإن الطبيعة الجنسية تنظر بالداخل والخارج معاً. ثم يطرد عن المرأة كلمة الحب إلا أن تكون من زوجها وعن الرجل إلا أن تكون من زوجته، إذ هي كلمة حيلة في الطبيعة أكثر مما هي كلمة صدق في الاجتماع، ولا يؤكد في الدين صدقها الاجتماعي إلا العقد والشهود لربط الحقوق بها، وجعلها في حياطة القوة الاجتماعية التشريعية، وإقرارها في موضعها من النظام الإنساني؛ فليس ما يمنع أن يكون العاشق من معاني الزوج، أما أن يكون من معنى آخر أو يكون بلا معنى فلا؛ وكل ذلك لصيانة المرأة ما دامت هي وحدها التي تلد، وما دامت لا تلد للبيع....

وفلسفة هذه الطائشة فلسفة امرأة ذكية مطلعة محيطية مفكرة، تبصر بالكتب والعقل والحوادث جميعاً، وقد أصبحت بعد سقطتها عنها ترى الصواب في شكلين لا شكل واحد؛ فقرأها كما هو في نفسه، وكما هو في أغلاطها

وقد أسقطنا في رواية مجلسها ما كان من مطارحات العاشقة، واقتصرنّا على ما هو كالاملاء من الأستاذة....

قال صاحب الطائشة: ذكرتُ لها « قاسم أمين » وقلت: إنها خير تلاميذه.... حتى لكأنها تجرّبة ثلاثين سنة لأوائه في تحرير المرأة. فقالت: إنما كان قاسم تلميذ المرأة الأوربية، وهذه المرأة بأعيننا لما حاجتنا نحن إلى تلميذها القديم؟

قالت: وأبلغ من يرد على قاسم اليوم هي أستاذته التي شبت بها أطوار الحياة بعده، فقد أثبت قاسم - غفر الله له - أنه انحصر في عهد بعينه ولم يتبع الأيام نظره، ولم يستقر أطوار المدنية؛ فلم يُقدّر أن هذا الزمن النمدن سيتقدم في ردائله بحكم الطبيعة أسرع وأقوى مما يتقدم في فضائله، وأن العلم لا يستطيع إلا أن يخدم الجهتين بقوة واحدة فأقواها بالطبيعة وأقواها بالعلم، وكأن الرجل كان يظن أنه ليس تحت الأرض زلازل ولا تحت الحياة مثلمها

مزق البرقع وقال: « إنه مما يزيد في الفتنة، وإن المرأة لو كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع خلقها - على الغالب -

نجد لفيكاً من الأوربيين المتعلمين ، رجالهم ونسائهم ، إذا رأوا في جزيرتهم أو محلاتهم أو ناديتهم رجلاً يلبس في حقنونه ثياباً قبيحاً كآله ورتق الشجر على موضعه ذلك من آدم وحواء ، إذا رأوا هذا التعفف بخرقة . . . أنكروا عليه وبسأءوا بينهم . من ؛ من هذا الراهب . . . ؟

ونسي قاسم - غفر الله له - أن للثياب أخلاقاً تتغير بتغيرها فالتى تفرغ الثوب على أعضائها لإفراغ الهندسة ، وتلبس وجهها ألوان التصوير - لا تفعل ذلك إلا وهي قد تغير فهمها للفضائل ، فتضيرت بذلك فضائلها ، وتحولت من آيات دينية إلى آيات شمرية . وروح المسجد غير روح الحانة ، وهذه غير روح المرقص ، وهذه غير روح الخديع ، ولكل حالة تلبس المرأة لباساً فتخفي منها وتبدي . وتحريك البيئة لتقلب ، هو بيمينه تحريك النفس لتغير صفاتها ، وأبن أخلاق الثياب المصرية في امرأة اليوم ، من تلك الأخلاق التي كانت لها من الحجاب ؟ تبدلت بمشاعر الطاعة والصبر والاستقرار والعناية بالنسل والتفرغ لاسعاد أهلها وذويها - مشاعر أخرى أولها كراهية الدار والطاعة والنسل ، وحسبك من شر هذا أوله وأخفه !

كان قاسم كالخدوع المقترب بآرائه ، وكان مصلحاً فيه روح القاضي ، والقاضي بحكم عمله مقلد متبع ، أليس عليه أن يسند رأيه دائماً إلى نص لم يكن له فيه شأن ولا عمل ؟ من ثم كثرت أغلاط الرجل حتى جعل الفرق بين فساد الجاهلة وفساد المتعلمة أن الأولى « لا تكلف نفسها عناء البحث عن صفات الرجل الذي تريد أن تقدم له أفضل شيء لئلا يكون هو نفسها ؛ وعلى خلاف ذلك يكون النساء المتعلمات ، إذا جرى القدر عليهن بأمر مما لا يحملن لم يكن ذلك إلا بعد محبة شديدة يسبقها علم تام بأحوال المحبوب (....) وشماله وصفاته ، فتختاره من بين مئات وألوف ممن ترأى في كل وقت (1111) وهي تحاذر أن تضع نقتها في شخص لا يكون أهلاً لها ، ولا تسلم نفسها إلا بعد مناقشة يختلف زمنها وقوة الدفاع فيها حسب الأمزجة (؟؟؟؟) وهي في كل حال تستتر بظاهر من التعفف (؟؟؟؟) . . . » (1)

(1) من ٥١ من كتاب « تحرير المرأة » ، وهو كلام قاسم بنصه ، وأكثر ما في هذا الكتاب هو رأينا خلط وخبث

ما برد البصر عنها « فقد زال البرقع ، ولكن هل قدر قاسم أن طبعة المرأة منتصرة دائماً في الميدان الجنسي بالبرقع وبغير البرقع ، وأنها تخترع لكل معركة أسلحتها ، وأنها إن كشفت برقع الحزن تستضع في مكانه برقع الأبيض والأحمر . . . ؟ وزعم أن « النقاب والبرقع من أشد أعوان المرأة على إظهار ما تظهر وعمل ما تعمل لتحريك الرغبة ، لأنهما يخفيان شخصيتهما فلا تخاف أنت يرمفها قريب أو بعيد فيقول : فلانة ، أو بنت فلان ، أو زوج فلان كانت تفعل كذا . فهي تأتي كل ما تشبهه من ذلك تحت حماية البرقع والنقاب » فقد زال البرقع والنقاب ، ولكن هل قدر قاسم أن المرأة السافرة ستلجأ إلى حماية أخرى فتجمل ثيابها تعبيراً دقيقاً عن أعضائها ، وبدلاً من أن تلبس جسمها ثوباً يكسوه تلبسه الثوب الذي يكسوه وزينته ويظهره ويمرّكه في وقت معاً ، حتى ليكاد الثوب يقول للناظر : هذا الموضع اسمه . . . وهذا الموضع اسمه . . . وانظر هنا وانظر هاهنا . . . ما زادت المدنية على أن فككت المرأة الطيبة ثم ركبتها في هذه الهندسة القاحشة !

وأراد قاسم أن يملأنا الحب لترتبط به الزوج معنا ، فلم يزد على أن جرّأنا على الحب الذي فرّ به الزوج منا ، وقد نسي أن المرأة التي تخالط الرجل لمحبها وتمجبه فيصير أزواجين - إنما تخالط في هذا الرجل غرائزه قبل إنسانيته ، فتكون طبيعته وطبيعتها هي محل المخالطة قبل شخصيتهما ، أو تحت ستار شخصيتهما ؛ وهو رجل وهي امرأة ، وبينهما مصارعة الدم . . . وكثيراً ما تكون السكينة هي الذبوحة . وقد انتهينا إلى دهر يصنع حبّه ومجالس أحبابه في « هوليود » وغيرها من مدُن السبا ، فإن رأى الشاب على الفتاة مظهر العفة والوقار قال : بلادة في الدم ، وبلاهة في العقل ، ونقل أي نقل . وإن رأى غير ذلك قال : فجور وطيش واستهتار أي استهتار . فأين تستقر المرأة ولا مكان لها بين الضدين ؟

أخطأ قاسم في اغفال عمل الزمن من حسابه ، وهاجم الدين بالسرف ؛ وكان من أغش غلظه ظنّه العرف مقصوراً على زمنه ، وكأنه لم يدرك أن الفرق بين الدين وبين السرف هو أن هذا الأخير دائم الاضطراب ، فهو دائم التغير ، فهو لا يصلح أبداً قاعدة للفضيلة . وها نحن أولاء قد انتهينا إلى زمن السرفي ، وأصبحنا

قال صاحب المطائفة :

فقلتُ لها : فإذا كان قاسم لا يرضيك ، وكان الرجل مصلحاً دخلته روح القاضي ، تَغْلَطَ رأياً صالحاً وآخَرَ سيئاً ، فلعل « مصطفي كمال » تَهْمِك من رجل في تحرير المرأة تحريراً مزق الحجاب والـ ... ؟

قالت : إن مصطفي كمال هذا رجلٌ نازٍ ، يسوق بين يديه الخطأ والصواب بمصاً واحدة ، ولا يمكن في طبيعة الثورة إلا هذا ، ولا يبرحُ نازاً حتى يَتِمَّ انسلاخُ أمته . وله عقلٌ عسكريٌّ كان يَمْكُرُ به مَكْرُ الألمان حين أكرههم الحلفاء على تحويل مصانع (كروب) غوتوها نحو بلاد بردها بأيسر التفسير إلى صنع المدافع والمفكات . وليس الرجل مصلحاً البتة ، بل هو قائدُ زَهَاءِ النصر الذي اتفق له ، نَفْرَج من تلك الحرب الصغيرة وعلى شفتيه كلمة : « أريد ... » وجعل بعد ذلك إذا غَلِطَ غلطةً أرادها منتصرة ، فيفرضها قانوناً على المساكين الذين يستطيع أن يفرض عليهم وم اليوم لا يملأون قبضة دولته ، فيقهرهم عليها ولا يناظرهم فيها ، ويأخذ كيف شاء ، ويدْعُهُم كيف أحب ؛ وبكلمة واحدة : هو مؤلف الرواية والقانون نفسه أحدُ المثليين ...

وحقَّده على الدين وأهل الدين هو الدليل على أنه نازٍ لا مصلح ؛ فإن أخصَّ أخلاق الثورة حَقْدُ الثائرين ، وهذا الحقْد في قوة حربٍ وحدها ، فلا يكون إلا مادةً للأفعال الكثيرة المذمومة . والرجل يَحْتَدِي أوروبا ويعمل على أعمال الأوربيين في خيرها وشرها ، ويحمل رذائلهم من فضائلهم على رغم أنفهم يتبرأون هم منها ويُحِقُّها هو بقومه ، فكأنه يَتَنَفَّسُ الآراءَ ويأخذها أخذاً عسكرياً ، ليس في الأمر إلا قولة أريد . فيكون ما يريد . هو لم يحكم على شبر من أوروبا بجملة تركيا ، ولكنه جعل رذائل أوروبا تتجنَّس بالجنسية التركية ...

ونالته إنه لا يَسُرُّ عليه أن يجيء بملائكة أو شياطين من المردة ، ينفخون أرض تركيا فيُسَطِّطونها مطاً فيجملونها قارةً من أن يُكْرِه أوروبا على اعتبار قومه أوربيين بلبس قبعة وهدم مسجد . إنه لا يزال في أول التاريخ ، وهذا الشبُّ الذي انتصر به لم تَلِدْه مبادئه ولا أنشأه هدمُ الساجد وشنقُ العلماء ،

أليس هذا كلام قاضٍ من القضاة الدَّيْنِينِ المتفلسفين على مذهب (لبروزو) يقول لاحدى الفاجرتين : أينما الجاهلةُ الحقاء كيف لم تَسْجِثْ ولم تَسْتَرِ فلا يكون للقانون عليك سبيل ؟ وحتى في هذا قد أثبت قاسم أنه لا يعرف الأرنب وأذنيها^(١) والافتى كان في الحب اختيار ، ومتى كانت الاختيارُ يقع فيها يجري به القَدَر ، ومتى كان نظر الماشقة إلى الرجال نظراً سيكولوجياً كنظر المعلقة إلى صبيانها . . . فتدرس الصفات والشاكل في مئات وألوف ممن ترام في كل وقت لتُصنِّفها كلها في واحد تختاره من بينهم ؟ هذا مضحك !

إليك خبراً واحداً مما تنشره الصحف في هذه الأيام ؛ كفرار بنت فلان باشا خريجة مدرسة كذا مع سائق سيارتها ، ففسَّر لي أنت كلام قاسم ، وأفهمني كيف تكون اثنتان واثتان خمسة وعشرين ؟ وكيف يكون فرار متعلِّمة أصيلة مع سائق سيارته هو محاذرة وضع الثقة فيمن لا يكون أهلاً لها ؟ لقد أغفل قاسم حساب الزمن في هذا أيضاً ، فكثير من التكرات والآثام قد انحَل منها المعنى الديني وثبت في مكانه معنى اجتماعيٌّ مقررٌ ، فاصبحت المتعلِّمة لا تتخوف من ذلك على نفسها شيئاً ، بل هي تُقَارِفُهُ وتُتَأَثِّرُ به دون الجاهلة ، وتلبس له (السواريه) ، وتقدِّم فيه للرجال المهذَّبين مرة ذراعها ، ومرة خصرها ...

أقرأت (شهر زاد) ؟ إن فيها سطرًا يحمل كتاب قاسم كله ورقاً أبيض مغسولاً ليس فيه شيء يُقْرَأ ؛ قالت شهر زاد المتعلِّمة المتفلسفة ، البيضاء البضة ، الرشيدة الجيلة ؛ للبعد الأسود الفظيع الدميم الذي نهواه : « ينبغي أن تكون أسود اللون ؛ وضيق الأصل ؛ قبيح الصورة ، تلك صفاتك الخالدة التي أحببها ... »^(٢) فهذا كلام الطبيعة نفسها لا كلام التأليف والتلفيق والتزوير على الطبيعة

(١) يقول العرب : « فلان يعرف الأرنب وأذنيها » أي يعرف الشيء بالعلامة التي تثبته ولا تتغلب

(٢) من ١٠٦ من « شهر زاد » للكاتب المقيم الأستاذ توفيق الحكيم . وقد كتبنا نحن في هذا المعنى وكشفنا عن سره في كتاب « أوراق الورد » من ٥١ — ٥٢ وفي غيره من كتبنا

بالرأى الصائب غيرها ، فيوشكُ ألا يبقى في نساء الأرض فضيلة ولا يعود في المدرسة كلها عاقلٌ إلا الكتاب

فتضاحكت وقالت : لهذا يشتد ديننا الاسلامي مع المرأة ، فهو يخلق طبائع المقاومة في المرأة ، ويخلطها فيها حولها ، حتى ليخيلُ إليها أن السماء عيونُ تراها ، وأن الأرض عقولٌ تحصى عليها . وهل أعجبُ من أن هذا الدين يقضى قضاءً مبرماً أن تكون ثياب المرأة أسلوب دفاع لا أسلوب اغراء ، وأن يضعها من النفوس موضعاً يكون فيه حديثها بينها وبين نفسها كالحديث في الراديو له دوى في الدنيا ، فيقيم عليها الحجاب وغيره الرجل وشرف الأهل ، ويؤاخذها بروح طبيعتها ، فيجعل الهفوة منها كأنها جنينٌ يكبرُ ولا يزال يكبرُ حتى يكون عازراً ماضياً ورخزى مستقبلاً

هذه كلها حُجُبٌ مضروبة لاحتجاب واحد ، وهي كلها تخلق طبائع المقاومة ، ولتيسير المقاومة ، ومتى جاء العلم مع هذه لم يكن أبداً إطلاقاً ، ولم يكن أبداً إلا الحجاب الأخير كالور حول القلعة . ولكن قبح الله الدنيا وفنها ؛ انها أطلقت المرأة حرة ثم حاطها بما يجعل حريتها هي الحرية في اختيار أنقل قيودها لاغير . أنتُ تُحملُ بالذهب ، وأنتُ حرٌّ ، ولكن بين اللصوص ، كأنك في هذا لست حراً إلا في اختيار من يجنى عليك

لم تمد المرأة العصرية انتصار الأمومة ، ولا انتصار الخلق الفاضل ، ولا انتصار التعزية في هموم الحياة ؛ ولكن انتصار الفن ، وانتصار القو ، وانتصار الخلاعة

قال صاحب الطائشة : فضحكت وقلت : وانتصاري ... ما طبق الأصل (غنطا)

« نعيم »

ليست الطائشة كل النساء ولا كل التعلقات ، ونحن إنما نروى قصة هي في الدنيا ليس فيها كلمة من الرنج ولا من زحل ؛ فأما الصالح فيرى ويفهم ، ولعله يصور بها نفسه ؛ وأما الفاسد فيرى ويستبر ، ولعله يرد بها نفسه . ومذهبنا دائماً وجوب كشف الحقيقة ، وإذا أردت أن تأخذ الصواب نخذ عن أخطأ

بل هو هو الذي ولدته تلك الأمهات ، وأخرجه أولئك الآباء ، وما كان يُصرُّه إلا القائد الحازم المصمم ، فلما ظفر بقائده جاء بالمعجزة ؛ فإذا فتن القائد بنفسه وأبى إلا أن يتحول نبياً فهذا شيء آخر له اسم آخر

ولنفرض « الأمير » كما يقول العلماء ، لنستطيع أن نجعل مسائلتنا هذه علمية ، وأن نبجتها بحثاً علمياً ، فليكن مصافى كال هو اللورد كتشنر في إنجلترا ، فيكسب اللورد كتشنر تلك الحرب المغلى لاجرب الدويلة الصغيرة ، وينتصر على البراكين من الجيوش لا على مثل براميل التبيد ... ثم يستمرُّ الرجلُ بدالته على قومه ويدخله القرو ، فيتصنع لهم صرة ويتزين لهم صرة ، ثم يأتيهم بالآبدة فيدسِّفهم ديسهم ، ويريدهم على تعطيل شهواتهم وهم كذائهم لأن هذا هو الإصلاح في رأيه . أفترى الانجليز حينئذ يضيئون اليه ويلتفون حوله ويقولون : قائدنا في الحرب ، ومصلحنا في السلم ، وقد انتصرنا به على الناس فننتصر به على الله ، وظفرنا معه بيوم من التاريخ فننظف معه بالتاريخ كله ... أم تحسب كتشنر كان يجسر على هذا وهو كتشنر لم يتغير عقله ؟

إنه والله ما يتدافعُ اثنان أن هدم كنيسة واحدة لا يكون إلا هدم كتشنر وتاريخ كتشنر ، ولكن المعجز محمد من تلقاء نفسه ، والأرض المنخيفة هي التي يستنقع فيها الماء فله فيها اسمٌ ورسم ؛ أما الجبلُ الصخريُّ الأثمن ، فإذا صُبَّ هذا الماء عليه أرسله من كل جوانبه ، وأفاضه إلى أسفل ... (١)

قال صاحب الطائشة : فأقول لها : إذا كان هذا رأيك للنساء فكيف لاترين مثل هذا لنفسك ؟

فتضعفت لهذه الكلمة ولجلجت قليلاً ثم قالت : أنت سلبتني الرأي لنفسى ، ووضعتني في الحقيقة التي لا تتقيد بقانون الخير والشر

قلت : فإذا كانت كل امرأة تفلط لنفسها في الرأي وتنصح

(١) سرفد مقالاً خاصاً لهذا الاتحاد التركي الديني فقد عثرنا في النسخة الخفية التي عندنا من (كلية ودنة) على فصل بديع عنوانه : « كفر الدابة » ، واستندمه لثرائنا

حول المسجد للأستاذ أحمد أمين

سأقضي حسن الحظ إلى الحديث مع سيدة انجليزية فضلة ،
وكان ذهني مستغرقاً في برنامج « الأخلاق والتربية الوطنية
للمدارس الثانوية » والتحدثون - عادة - يلونون حديثهم
- ولو من غير شعور - بما يشغل أذهانهم ويستغرق أفكارهم
- ومهما بدأ المتحدث عن الموضوع الذي يستولى عليه فسرعان
ما يعود إليه ، وينغمس فيه

لقد بدأنا الحديث في الجو وانتقلنا إلى غيره ، وإذا بنا نتكلم
في « التربية والتعليم وشؤونهما » وإذا بي أسأل السيدة :
- ما برنامج الأخلاق والتربية الوطنية للمدارس الثانوية
في إنجلترا ؟

- ليس لها في المدارس برنامج معين ولا دروس خاصة ،
ولكن تلقى فيها محاضرات في مناسبات ، وأم ما يقوم بهذه
المهمة « الكنيسة » فهي تنظم دروساً للشبان والشابات في هذا
الموضوع ، ويقوم بها رجالها ، فيكفوننا بذلك مؤونة الدروس
في المدارس ؟ وللقاؤها في الكنائس يجعل لها معنى أجل ، واحتراماً
أوفر ، وطمناً أحلى

انتقل ذهني في سرعة البرق من الكنيسة عندهم إلى المسجد
عندنا ، وساءلت نفسي :

ما الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها المسجد للأمة الإسلامية ؟
إنني أفهم أن المسجد الحلي وظيفته اجتماعية هامة بجانب
وظيفته الدينية ، هي الاشراف على تجلية الروح وتهذيب النفس
بتنظيم المحاضرات في الموضوعات التي تمس العصر ، والمشاكل
التي تعرض في كل زمن ، كما أن من وظيفته الاشراف على حالة الحلي
الاجتماعية ، وما يصاب به من بؤس وفقر وانفاس في المخدرات
ونحو ذلك ؛ ثم تنظيم الاحسان والقيام بالخدمة العامة بين الأغنياء
والفقراء ، وإسداء النصائح للأشراف بما يعرض لهم من متاعب وصعاب
إنني أفهم من مسجد الحلي أن يكون كـمستشفى الحلي ، غير أن
المستشفى يداوي الأمراض الجسمية ، والمسجد يداوي الأمراض
الروحية والاجتماعية

إنني أفهم أن يكون إمام المسجد رئيس المستشفى يعرف مرضي
الحلي ، ويعرف علاجهم ، ويكون صلة تآلف وتعارف بين أهل
الحلي ، يأخذ من غنيهم لفقيرهم ، ومن صحيحهم لمرضىهم ، ويقضي
على المنازعات والخسومات ما استطاع ، ويتقف الجاهل ، ويتخذ
من المثقفين من أهل الحلي أعواناً وأنصاراً ، بخطبون ويمظنون ،
ويعلمون ويتقفون - وإذا ذاك يشعر أهل الحلي بأن المسجد
ضرورة من ضرورات الحياة ، يقوم لهم بما تقوم به المدرسة وبما
تقوم به المحكمة ، وبما تقوم به جمعيات الاحسان ، وبما هو فوق
هذا وذاك

بل لم لا يكون المسجد معهداً للمرأة كما يجب أن يكون معهداً
للرجل ، فيخصص مسجد كل حي وقتاً لنساء الحلي تعلم فيه
المرأة واجباتها الدينية والاجتماعية ، وتفقه فيه في دينها ودنياها ،
وترشد فيسهل إلى طرق إسعاد البيت ، وتثار همتها إلى العطف
والاحسان وتنظيمهما

فالمرأة الآن عرومة من غذائها الروحي والديني ، لأنها بعيدة
عن المسجد ، حرمت منه من غير حق ، وهو سلواتها في الأزمات ،
وهو منهل عواطفها وغذاء روحها - لقد حرمت المرأة من
المسجد ، لحرم أبنائها وبناتها من العاطفة الدينية ، لأن الأم
- غالباً - هي مصدر هذا الايمان ، وإذا انحرفت مرة فلم تجد
المسجد يهديها ويعزها ، ججت وغوت ؛ فهي الآن بين بيت
وملح ولا مسجد بينهما يذهب ملل البيت ويكسر من حدة الملاهي
هذا هو المسجد كما أتصوره ، وكما ينبغي أن يكون - قوى
الأثر في النواحي الزوجية والاجتماعية والتعليمية ، في الرجل
والمرأة ، قلوب الحلي معلقة به ، يثارون عليه ، ويعملون على تربيته
من حيث نظامه ونظافته وإمامه وخطبائه ، ويرون أنه لهم وهم له ،
وأن منارته ينبعث منها الاجلح في جميع نواحيه ؛ متملمو الحلي
جنوده في نشر الثقافة ، وأغنيائه جنوده في محاربة الفقر ، ونساؤه
دعاة أبنائهم وبناتهم إليه

هذا هو الوضع الصحيح للمسجد ، فأين مسجدنا منا ، وأين
نحن من المسجد ؟

لقد اعتزل الناس واعتزله الناس ، ولم يشعر شعوراً قوياً
بوجودهم ، ولم يشعروا شعوراً قوياً بوجوده

نظرت داز الآثار إلى بنائه فمدته « آثاراً » ونظر الناس إلى
نظامه فمدوه كذلك « آثاراً » فليس يؤمه - مع الأسف -
إلا الطبقة الفقيرة البائسة ، أو الموظف الذي أحيل إلى المعاشي ،

بين الأسطورة والتاريخ

هل اصرف فأنح الأئمة من سفه ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تتخذ شخصية طارق بن زياد فأنح الأندلس مكانها بين عظماء الفاتحين ، لا في التاريخ الاسلامي وحده ، ولكن في تاريخ الأمم القديمة كلها ؟ وتعتبر موقعة شدونه أو « مدينا سدونيا » من أعظم الوقائع الحاسمة في تاريخ الانسانية ، ففيها افتتح العرب اسبانيا وغنموا ملك القوط ، وشادوا صرح تلك الدولة الأندلسية الزاهرة التي لبثت قروناً تبهر أمم الغرب بقوتها وغناها ورائع حضارتها وفنونها . بيد أنه من الغريب أن شخصية الفاتح العظيم — طارق — بينما تبدو في بعض نواحيها وضاء مشرقة ، إذا بها تبدو في البعض الآخر خفية يكتنفها الغموض ؛ فالرواية الاسلامية تختلف حول نشأة طارق وحول نسبته وجنسيته ، وتكاد تسدل على مصيره بعد الفتح ستاراً من الصمت والنسيان ولنا نعرض في هذا البحث لشخصية طارق أو تاريخه أو اختلاف الرواية في شأنه ، ولكننا نعرض لواقعة ترتبط باسمه ، وقد يغلب عليها لون الأسطورة ، وإن كانت مع ذلك تعرض علينا في لون التاريخ الحق ، تلك هي واقعة إحراق السفن التي نقل عليها طارق جيشه من الشاطئ الأفريقي إلى شاطئ الأندلس . ونحن نعرف أن فتح الأندلس قد تم بدعوة من الكونت يوليان القوطي حاكم سبته والضييق لخصومة سياسية وشخصية بينه وبين رودريك (لدرين) ملك القوط ، وأنه طاون العرب بخدماته ونصحه ، وأنه هو الذي قدم السفن التي عبر العرب عليها إلى الأندلس في بثتهم الاستكشافية الأولى بقيادة طريف بن مالك

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب «
هل للأزهر ووزارة الأوقاف أن يتعاونوا على إصلاح المسجد
ويضعا البرامج له على أنه مرفق اجتماعي كما هو مركز ديني ؟؟
إن إصلاحه على هذا الوضع تقوية للدين ، وإصلاح للناس ؟
في القطار الى (رأس البر) أحمد أمين

أو من تقدمت به السن من عامة الناس . أما الشباب المتقنون ومن أنعم الله عليهم بشيء من رغد العيش فلا يفكرون في المسجد ولا يحدتهم أنفسهم بزيارته ، وإن دخلوا لا يعرفوا كيف تؤدَّى شعائره إلا القليل النادر ، كأن السينا والمساجد اقتلعت الناس ، نفص المسجد بالشيوخ والمجاثر والفقراء ، وخص السينا بالفتيان والفتيات والأغنياء ، وهي حال لا تشعر بأمل ، ولا تبشر بخير ووزارة الأوقاف كذلك عدت المساجد « آثاراً » ، فهي تسير في تعيين أئمتها وخطبائها وفي مراقبتها سير القرون الخالية كأن الزمن لا يسير

والأئمة والخطباء ياملونها معاملة « الآثار » فهم يقرأون غالباً الخطب التي ألقت في القرون الماضية ، فلا تحرك نفساً ولا تحيي همة — كل ما فيها « اتقوا الله » إجمالاً من غير تفصيل . أما ما يحدث بيننا من أحداث ، وأما ما نشر به من مصائب وما ينتابنا من كوارث ، فلا دخل لهم فيه ، لأن دواوين القدماء لم تنص عليه

ورجبت السياسة بهذا النظر الأتري إلى المساجد فاطمأنت إليه لأنه يخدمها ، وإلا فما لنا نرى المسجد بعيداً عن الناس هذا البعد ، هل لو أراد الخطباء غير الامام أن يخطبوا في المسجد في إصلاح الحالة الاجتماعية أجيب طلبهم ؟ وهل لو نظمت محاضرات ثقافية في المسجد للشبان مرة والشباب مرة في الأخلاق والتربية الوطنية تسمح وزارة الأوقاف بذلك ؟ أكبر الظن أن لا

الحق أن للناس بعض المذر في الانصراف عن المساجد ، فلو عرف الخطباء كيف يكلمون الناس وعرف رجال الدين كيف يصلون إلى قلوبهم ، وشعر الناس أنهم يجدون في المسجد متعة روحية وغذاء دينياً واجتماعياً ، لتغير الحال وازدهر المسجد بالناس من جميع الطبقات

وقد كان المسجد في الاسلام يقوم بهذه النواحي التي ذكرنا ، فالخلفاء ونوابهم كانوا يخطبون في الشاكل الحاضرة — وكانوا يخطبون كلما حزبهام أمر أو عرض لهم مهم ، وكان للمسجد مدرسة للمعلمين والتعلمين والشعراء والتأديين ، وكان المسجد مكتبة للواردين والمترددين ، وكان المسجد مجمع للناس في الأعياد والمواسم ، وكان المسجد مكتب الصغار ومدرسة الكبار ، ولوسار في طريقه وتأقلم مع الزمن لكان يؤدي كل الخدم الاجتماعية التي أشرنا إليها من قبل ولكن « خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ،

هذا الخطاب فعلاً - وهو ما نراه موضع الشك - فإنه يمكن تفسيره بأن السفن التي عبر عليها طارق وجيشه كانت ملكاً للكونت يوليان القوطي، ولم تكن مستوى أربع، وقد عبر الجيش الإسلامي عليها تباعاً في مرات عدة، فمن المقول إذاً أن يعتبر طارق أنه في حالة الهزيمة لم تكن لديه وسيلة سريعة للارتداد وعبور البحر إلى إفريقية على أنما نستطيع مع ذلك أن نأخذ برواية الشريف الإدريسي؛ وإذا كان احتراق السفن على هذا النحو لقطع الرحمة والارتداد على جيش فاتح عمل بطولية رائع، فإنه لما يتفق مع بطولة فاتح الأندلس، وليس موقف قيصر في غالبا أو موقف بونابارت في إيطاليا فيما بعد بأدنى الإعجاب من موقف طارق في سهل شريش (مكان اللقاء الخامس)

والظاهر أن إقدام الغزاة على إحراق السفن على هذا النحو الذي تنسب الرواية لفاتح الأندلس نوع من أساطير البطولة الخارقة التي ترجع إلى أقدم عصور التاريخ؛ ففي كثير من مواطن التاريخ القديم المزيج بخوارق الأسطورة. نعرض مثل هذه الواقعة للتنويه بعمل بطولة خارق. على أننا لا ندم أيضاً في التاريخ الحق أمثلة واقعة منها. ففي التاريخ الروماني مثل رائع لهذا الحدث هو مثل الإمبراطور يوليان في حملته الفارسية. وكان يوليان مذ جالس على عرش قسطنطينية، «جوق إلى غزو فارس ومحطم تلك الدولة المشاعة التي ما زالت منذ الحقب تناهض دولة القياصرة، وكان مثل الاسكندر المقدوني يحفزه وبذلك غزاه؛ ففي سنة ٣٦٣ م، حار يوليان من انطاكية حيث كان ينظم أهيته في جيش ضخم، واخترق صحراء الشام من جهة الشمال، ثم سار جنوباً بحذاء الفرات، وسار في نفس الوقت في الفرات أسطول روماني ضخم يحمل أقوات الجيش؛ ثم عبر يوليان نهر الفرات، واجتاح بلاد الأشوريين، وأشرف على شهر دجلة حيث كان الفرس في انتظاره في الضفة الأخرى؛ وحمل الرومان سفنهم المشحونة بالزيت والذخيرة من الفرات إلى الدجلة بعد جهود ومشاق ماثلة؛ واعتزم الإمبراطور أن يعبر الدجلة بجيشه ليقاتل سابور ملك الفرس في قاب مملكته كما فعل الاسكندر من قبل حيث هاجم الفرس في عقر أرضهم؛ وهنا اعتزم الإمبراطور جلاء أن ينقذ فكرة جريئة جالت بخاطره.

(رمضان سنة ٩١) ثم في حملتهم الغازية بقيادة طارق بن زياد (رجب سنة ٩٢ - إبريل سنة ٢٧١١). وهنا تذكر الرواية أن طارقاً ما كاد يعبر بجيشه إلى إسبانيا حتى أمر بإحراق السفن التي عبر عليها جيشه وذلك لكي يدفع جنده إلى الاستبسال والموت أو الفظفر، ويقطع عليهم كل فكرة في التخاذل أو الارتداد. فما يبلغ هذه الرواية من الصحة؟ إن جميع الروايات الإسلامية التي محدثنا عن فتح الأندلس لا تذكر شيئاً من هذه الواقعة، ولا تذكرها سوى بعض الروايات النصرانية المعاصرة أو المتأخرة؛ ولا تذكرها الرواية الإسلامية إلا في موطن واحد، فقد ذكر الشريف الإدريسي في منجمه الجغرافي الشهير «نزهة المشتاق» عند الكلام على جغرافية الأندلس أن طارقاً أحرق سفنه بعد السور بجيشه إلى الأندلس^(١)؛ وقد نقلت الروايات النصرانية المتأخرة هذه الرواية عن الإدريسي فيما يرجح؛ وفيما عدا ذلك فإن جميع الروايات الإسلامية تمر عليها بالصمت المطبق وهناك وجه آخر لتأييد هذه الرواية هو الخطاب الذي يقال إن طارقاً أقام في جنده قبيل نخوب الواقعة الحاسمة بينه وبين القوط؛ ونحن نعرف هذا الخطاب الشهير الذي مازال يحفظه الطلاب كنموذج من أروع نماذج البلاغة العربية؛ فقد استعمل طارق بقوله: «أيها الناس؛ أين الفرس؟ البحر من وراءكم والموت أمامكم؛ وليس لكم والله إلا الصدق والصبر...» وفي ذلك ما يمكن أن يحمل على أن الجيش الفاتح قد جرد من وسائل الارتداد والرجعة إلى الشاطئ الأفريقي، أو بعبارة أخرى قد جرد من السفن التي حملته في عرض البحر إلى إسبانيا؛ ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن هذا الخطاب الحربي الشهير الذي تنسب الرواية الإسلامية المتأخرة إلى طارق، لم يرد في روايات المؤرخين للتقدمين؛ فثلاً لم يذكره ابن عبد الحكم والبلاذري وما أقدم رواة الفتوحات الإسلامية؛ وذكره ابن قتيبة، ولم يشر إليه ابن الأثير وابن خلدون، ونقله القرطبي عن مؤرخ لم يذكر اسمه^(٢)، وهو على العموم أكثر ظهوراً في كتب المؤرخين والأدباء المتأخرين؛ وعلى ذلك فليس في وسعنا أن نتخذ دليلاً مادياً على واقعة إحراق السفن؛ ولو صح أن طارقاً قد ألقى مثل

(١) راجع «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» طبع رومة م ١٧٨

(٢) فتح الطليح ج ١ ص ١١٢

الاجراء إلى غاية ظاهرة هي ألا يدع إلى قلوب جنده سبيلا إلى الخور أو أملا في الارتداد . إما الظفر أو الموت : هكذا كان شعار كورتيز ، وهكذا كان عزيمه وخطته ، وكان عملاً جريئاً ، ولكن ضرورياً ، حتى لا يجد الناقدون أى وسيلة لمفادرة إخوانهم ، وحتى يرتقى الجميع في أحضان الموت لا يلتصمون به بدلاً سوى الظفر . ولا ريب أن عمل كورتيز عمل بطولة خارق ، وربما كان أعظم عمل من نوعه في التاريخ ، لأن الفاتح الأسباني تقدم في جرأة مذهشة لافتتاح الامبراطورية الهندية العظيمة بجيش لا يبدو عدة مثاث ، ولم يحجم مع ذلك عن إعدام أسطوله ، وهو وسيطه الوحيدة للنجاة في حالة المزرعة والفشل ؛ وكان ظفروا بفتتاح ذلك العالم الجديد عظيماً مدهشاً (١)

ومثل هذه الحوادث تبدو في التاريخ كالأسطورة وقد تبرز أحياناً بالأساطير ؛ وكلما بمنت في ثنايا التاريخ كلما كان امتزاجها بالأسطورة أشد وأقوى . بيد أننا هنا أمام أمثلة واقعة . وفي التاريخ حوادث من نوع مماثل في شذوذه وروعته ما زالت في عصرنا تبدو كالأحاجيب الخارقة ، فضلاً يذكر التاريخ أن محمداً الثاني سلطان الترك العثمانيين وفاتح قسطنطينية ، حينما حاصر قسطنطينية من البر والبحر ، ولم يستطع أسطوله أن يقتحم خليج القرن الذهبي الذي تقع عليه المدينة من البحر ، اعتمد في الحال أن ينقل أسطوله إلى البر ، مما بلى مؤخرة القرن الذهبي ، ونفذ مشروعه الخارق بالفعل وتقل أسطوله الضخم على طريق من الخشب المطلى بالدهن والشحم ، ثم دفعه إلى داخل القرن الذهبي ؛ وبذلك تم تطويق المدينة ، ولم تلبث أن سقطت في أيدي الفزاة (١٤٥٣ م) . بيد أن هذه الحوادث والأعمال الخارقة لا تبدو في روعتها الحقيقية إلا إذا اسطبغت بألوان مصر الذي وقعت فيه ، وقد بنقص من قدرها إذا قدرت بعبارة عصرنا ، وقههما بروح مصر الذي وقعت فيه هو وحده الذي يسبح عليها هذا اللون القوي من البطولة الخارقة ، وهذا السحر الذي تبثه إلينا أعمال تشبه الأساطير في روعتها

محمد عبد الله عتانه

(١) نرى أن لشير هنا إلى كتاب من أروع كتب التاريخ هو « فتح المكسيك » Conquest of Mexico بقلم اللورخ الأمريكى ولين برسكون ، فيه مرض بديع لسيرة هذا البطل الفاتح وأعماله العظيمة

وهي أن يحرق أسطوله الراسى في دجلة ؛ وفي الحال تفذت الفكرة وأحرق الأسطول الرومانى الضخم ولم تنفذ منه سوى سفن قلائل استبقيت لاجتياز الأنهر ، ولم يتزود الجيش الامبراطورى إلا بمؤونة عشرين يوماً ؛ وكان يوليان يرى بذلك الاجراء إلى غاية حرية حكيمة هي ألا يمكن القوات الفارسية المحصورة في مدينة اكتسيفون قاعدة الجزيرة من انتهاء فرصة توغله في الداخل ومهاجمة أسطوله والاستيلاء عليه وعلى المؤن التي يحملها غنيمة باردة . وقد حكم التاريخ على يوليان ولم يحكم له ، ذلك لأنه لم يكن موفقاً في غزواته ، وقد لقي جزاء جرأته في نكبة جيشه أمام الفرس وفي مصرعه متأثراً بجراحه ؛ وارتد الجيش الرومانى مهزوماً محزناً ونجحت فارس بحريتها واستقلالها مدى ثلاثة قرون أخرى حتى كان الفتح العربى

وفي التاريخ الحديث مثل واقعى رائع أعدمت فيه سفن الجيش الفاتح ، هو مثل هرناندو كورتيز فاتح المكسيك ؛ ومن غرائب القدر أن يكون أدور نموذج لهذا الضرب من البطولة اسباني يذكروا بطارق فاتح اسبانيا وما ينسب إليه في هذا الصدد . ومن المرجح جداً أن يكون فاتح المكسيك قد تأثر بالمثل الرائع الذي تنسبه الرواية لفاتح الأندلس ؛ وقد كان طارق وكورتيز في الواقع كلاهما أمام ظروف متماثلة : مفاصرة مجهولة الظروف والمواقف ، ومحاولة جريئة لافتتاح أرض جديدة وعالم جديد ، وجيش قليل العدد ليواجه جيوشاً زاخرة لا يعلم نوعها ولا مدى قوتها . بيد أن مفاصرة كورتيز وقعت في ظروف أكثر دقة وخطورة ؛ فقد كانت اسبانيا من أهم العالم القديم ولم تكن مجهولة تماماً من العرب وكان بها شعب قديم يتمتع بحضارة لا بأس بها ؛ ولكن كورتيز كان أمام عالم مجهول تكتنفه الظلمات من كل ناحية ، ولم يكن يعرف ما هي الأرض ، وما هي الأمم التي يرمع اقتحامها بجنده القليل وصل كورتيز في أسطوله التواضع إلى مياه المكسيك في سنة ١٥١٩ ليغزو امبراطورية « الازتكين » الهندية ، ولم يكن يعرف الأسبان يومئذ عنها شيئاً إلا أنها امبراطورية ضخمة فنية تفيض بالنعم والذهب الوهاج ؛ وما كاد كورتيز وجنده يضعون أقدامهم في الأرض الجديدة ، حتى فكر الفاتح الجريء في إعدام سفنه ؛ وأعدمت في الحال باعراقها ؛ وكان كورتيز يرى بهذا

التشجيع

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدى صاحب الرسالة ، أنت
لائع التنا ، ولكن القراء يحبون الحقيقة ،
فأرجو أن تنشر لهم هذا الفصل « على »

أشكر للأستاذ هذه السلسلة التي يتبعها في تشجيع سفار
الأدباء ، والأخذ بأيديهم ، لأن التشجيع مذ كان أصل التقدم ،
وسبب النجاح ؛ وقد قرأت مرة أن مجلة أنكليزية كبيرة سألت
الأدباء عن الأمر الذي يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب ،
وجعلت لن يحسن الجواب جائزة قيمة ، فكانت الجائزة لكاتبه
مشهورة قالت : إنه التشجيع ! وقالت : إنها في تلك السن ،
بعد تلك الشهرة والمكانة ، تدفعها كلمة التشجيع حتى تعفى إلى
الامام وتقدم بها كلمة التشجيع عن السير

وإن من أظهر الأسباب في ركود الأدب في الشام في القرن
الماضى ، وانقطاع سبيل التأليف ، هو فقدان التشجيع ، وذلك
« الاحتكار العلمى » الذى قتل كثيراً من النفوس المستعدة للعلم ،
وخفق كثيراً من المبقيات التهيئة للظهور ، فقد كان العلم في
الشام مقصوراً يومئذ على بيوت معروفة ، لا يتعداها ولا يجوز أن
يتعداها ، هي : بيت المطار ، والحزادى ، والفزى ، والطنطاوى ،
والشطى ، والخانى ، والكزبرى ، والاسطوانى ، والحلبى . . .
وكانت كلها متجمعة حول المدرسة البادرانية ؛ في القصرية
والعبارة ، وزقاق النقيب ، حيث يسكن الأمير العالم المجاهد
عبد القادر الجزائرى رحمة الله عليه وعليهم ؛ وكان لهذه البيوت
كل معنى الامتياز و « الاحتكار العلمى » ، فإذا سمع أن شاباً
اشتغل بالعلم من غير هذه البيوت ، وقدر وافي النبوغ ، وخافوا
أن يزاحمهم على وظائفهم الموروثة ، بذلوا الجهد في صرفه عن
العلم ، والمدول به إلى التجارة ؛ أوليست الوظائف العلمية وفقاً
على هذه البيوت ؟ أوليس للولد ولاية المهد في وظيفة أبيه ،
تنحدر إليه الأمانة أو الخطابة أو التدريس عاكاً كان أو جاهلاً ،
فكيف إذن يزاحمهم عليها أبناء التجار ، وهم لا يزاحمون أبناء
التجار على « حوائثهم » ؟ ألا يكتفى أبناء التجار هذا القسط
الضئيل من النحو والصرف والفقه والمنطق الذى يمن به عليهم
هؤلاء العلماء ؟ . . .

حتى إنه لما نشأ محمد أمين (ابن عابدين) وأنسوا منه الميل
إلى العلم ، وعرفوا فيه الذكاء التوقد ، والمقل الراجح ، خافوا
منه فذهبوا يقتنمون أباه — وكان أبوه امرأ تاجراً — ليسلك
به سبيل التجارة ، ويتنكب به طريق العلم ، وجهلوا يكلمونه ،

قرأت ما كتب عني وعن كتابي « أبو بكر الصديق »
أستاذنا أديب العربية الأستاذ الزيات ، فقرأت فيه صفحة من
كرم السجيا ، ونبل الأخلاق ، والتشجيع الذى يتفضل به
الكبير على الصغير ، فيسد به خطواته ، ويأخذ بيده ، ويصب
من قوته في أعصابه ، حتى يقوى ويشدد ويتقدم ، فأحببت أن
أعلق على هذا التقرير بكلمة في التشجيع وماله من الأثر في
العلوم والآداب ، وأن أفي للحق والواجب ، بأن أسجل للأستاذ
والرسالة ، ماله علينا من منة ، وما للرسالة علينا من يد ؛ وأنا
وأصحابي هنا مدينون للرسالة ، بما نجد من قوة ، وما نحس من
نشاط ، ما كنا لولا « الرسالة » نحس منه شيئاً ؛ وما رأينا قبل
الرسالة مجلة أدبية راقية ، فتحت أبوابها لأدباء العربية جميعاً ، لا تفرق
بين أبناء قطر وقطر ، وبلد وبلد ، ولا تزن الأدباء بالشهرة الواسعة ،
ولكن بالانتاج القيم ، فكانت بذلك الرسالة ديوان العرب
المشترك ، وسجل الأدب الحديث ، وجعلت من قرائها - وقرأوها
كل الناطقين باللسان - أسرة واحدة ، تجمعها وحدة المبدأ ،
ووحدة الغاية . وهل أجل في إثبات هذه الوحدة ، من رجل
يكتب مقالة عن الأوزاعى من فلسطين ، فيمقب عليه آخر من
الشام ، ويحييه ثالث من مصر ، ويطلق عليها رابع من سنغافورة
ثم يكتب في الموضوع خامس من دمشق ؟ . . . كأن الرسالة
قد عمت بسحرها ما بين سنغافورة والشام من صحارى وبحار ،
وجبال وأنهار فتدبت هذه من تلك ، كالقعد من القعد في الصف
الواحد ، يخرج رأى من هنا ، ورأى من هنا ، ويسمع الأستاذ
وهو على منبره الرأى يقول القول الفصل ، وينطق بالكلمة الحاسمة
وما الأستاذ إلا الزيات وما المنبر إلا الرسالة !

هو أيضاً ، فكانت ترجمة اسم المؤلف أو الكاتب اسم الترجان أو « السارق » ! وكان الكتاب أو الفصل المترجم من وضع أدينا البارح . . .

كنت أنظم أحياناً من الشعر أو أسرقها ، كما ينظم كل مبتدئ ويسرق ، حتى إذا اجتمع عندي كثير من القطع ، عرضته على أستاذ العربية ، وكان لسوء الحظ تركياً يسمى انعاميل حتى أفندى ، بملنا النحو العربي باللسان التركي ! فلما قرأه سخر مني وسبني وتهكم علي ، وجاء من بعد أخى أنور المطار - فنظم كما كنت أنظم حتى إذا اجتمع عنده كثير من القطع ، عرضه على الأستاذ كرد على رئيس الجمع العلمى العربى ، فأقام له حفلة تكريمية !

فكانت النتيجة أنى هجرت عن الشعر ، حتى لنقل البحر بضى أهون على من نظم خمسة أبيات ، وأن أخى أنور المطار غدا شاعر الشباب السورى ، سيفدو شاعر شباب العرب !

وأول من سن سنة التشجيع فى بلدنا هو العلامة الرحوم مربي الجيل الشيخ طاهر الجزائرى ، الفيلسوف المورخ الجليل ، الذى من آثاره المدارس الابتدائية النظامية فى الشام ، والمكتبة الظاهرية ، والأستاذ محمد كرد على بك ، وخالى الأستاذ محب الدين الخطيب ومما كتب فى ذم التشييط :

« . . . وقد هجيت من أولئك الذين يسمون فى تشييط المم ، فى هذا الوقت الذى يقتبه فيه الناقل . . . »

وكان الأجدر بهم أن يشفقوا على أنفسهم ويشغلوا عما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع ، ولم تر أحد من الشبطين قديماً أو حديثاً أتى بأمر مهم ، فينبئ للجرائد الكبيرة ، أن تكثر من التنبيه على ضرر هذه المادة ، والتحذير منها ، ليخلص منها من لم تستحكم فيه ، وينتبه الناس لأربابها ليخلصوا من ضررهم . وكان الشيخ فى حياته يشجع كل عامل ، ولا يثنى أحداً عن غاية سالحة ، حتى لقد أخبرنى أحد المقربين منه أنه قال له : إذا جاءك من يريد تعلم النحو فى ثلاثة أيام ، فلا تقل له إن هذا غير ممكن . فتفل عزيمته ، وتكسر همته ، ولكن أقرته وجب إليه النحو ، فله إذا أنس به واظب على قرأته

ويرسلون إليه الرسل ، ويكتبون إليه الكتب ، ويستعينون عليه بأصحابه وخلصائه ، ولكن الله أراد بالمسلمين خيراً ، فثبت الوالد فكان من هذا الولد المبارك ، ابن عابدين صاحب « الحاشية » ، أوسع كتاب فى فروع الفقه الحنفى

بل لقد أرادوا أن يصرفوا أستاذنا العلامة محمد بك كرد على عن العلم ، فبشوا إليه بشقيقتين من آل . . . بشقيقتين قد ماتا قلت أسميهما ، على رغم أنهما قطعا عن العلم أكثر من أربعين طالباً - فما زالا بأبيه - ولم يكن أبوه من أهل العلم - ينصحانه أن يقطع عن العلم ، ويملأ مهنة يتكسب منها ، فما فى العلم نفع ، ولا منه فائدة . . . ويلحان عليه ويلازمانه ، حتى سخر فصرهما فكان من ولد هذا ، الأستاذ كرد على أبو النهضة الفكرية فى الشام وقائدها ، ووزير معارف سورية ^(١) ومفخرتها ، والذى من مصنفاته : خطط الشام ، وغرائب الغرب ، والقديم والحديث ، والمحاضرات ، وغابر الأمدلس وحاضرها ، والإدارة الإسلامية ، والاسلام والحضارة العربية . . . والمقتبس . . . ومن مصنفاته : « الجمع العلمى العربى بمشق » ، ومن مصنفاته هؤلاء : « الشراء والكتاب من الشباب » .

ولعل فى الناس كثيرين كانوا لولا الاحتكاك والتشبيط كابن طابدين أو ككرد على . وهما هو ذا العلامة للرحوم الشيخ سلم البخارى مات وماله مصنف رسالة لما فوقها ، على جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وقوة قلبه ، وشدة يمانه ، وبسبب ذلك أنه صنف لأول عهده بالطلب رسالة صغيرة فى المنطق ، كتبها بلغة سهلة عذبة ، تنق عن هذا العلم تعقيد الصبارة ، وصعوبة الفهم ، وعرضها على شيخه ، فسخر منه وأنبه ، وقال له :

أيها المبرور ! أبلغ من قدرك أن تصنف ، وأنت . . . وأنت . . . ثم أخذ الرسالة فسجرتها المدفأة . . . فكانت هى أول مصنفات العلامة البخارى وآخرها !

وقد وقع لى أنى كنت فى المدرسة وكنت أحاول أن أنظم الشعر ، فأخذ أحياناً قديمة فأغير قوافيها ، وأبدل كلماتها ، وأدعيها لنفسى ، كما يفعل اليوم بعض الأدباء « التراجمة » حين يترجون الكلمة الانكليزية أو الفرنسية حتى إذا بلغوا التوقيع ترجموه

يعد . . . فكانوا يعظمون العرب ، لأنه من أمة الرسول الأعظم الذي اعتدوا به ، وصاروا به ويقومه ناساً . . .

وانتملت أسباب الشيخ بأسباب طائفة منهم فكانوا يجلسون إليه يحدونه ، فقال له يوماً رجل منهم :

- إن السلطان سأل دار الشيخة عن قضية حيرت علماءها ولم يجدوها جواباً ، والسلطان يستعهم وهم حائرون ، فهل لك في أن تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب ؟

قال : نعم

قال : سر مني الى الشيخة

قال : باسم الله

ودخلوا على فاموس الشيخة (سكرتيرها) ، فسأله الشيخ اسماعيل عن المسألة فرفع رأسه فقلب بصره فيه بازدياد ، ولم تكن هيئة الشيخة بالتي ترضى ، ثم ألقاها اليه وانصرف الى عمله ، فأخرج الشيخ نظارته فوضعها على عينه فقرأ المسألة ثم أخرج من منطقتة هذه الدواة النحاسية الطويلة التي كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة والدفاع عن النفس ، فاستخرج منها قصبه فبرأها ، وأخذ المقط فقطعها ، وجلس يكتب الجواب بخط نسخي جميل حتى سيور عشر صفحات ما رجع في كلمة منها الى كتاب ، ودفعها الى الفاموس ، ودفع اليه عنوان منزله وذهب . فلما حملها الفاموس الى شيخ الاسلام وقرأها ، كاد يقضى دهشة وسروراً

- وقال له : ويحك ! من كتب هذا الجواب ؟

- قال : شيخ شامي من صفته كيت وكيت . . .

- قال : علي به

فدعوه وجعلوا يطلونه كيف يدلم على شيخ الاسلام ، وأن عليه أن يشير بالتحية واضماً يده على صدره ، متحنياً ، ثم عشى متباطئاً حتى يقوم بين يديه . . . الى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة التي نسيها الشيخ ، ولم يحفظ منها شيئاً

ودخل على شيخ الاسلام ، فقال له :

- السلام عليكم ورحمة الله ، وذهب مجلس في أقرب المجالس

اليه . وعجب الحاضرون من عمله ولكن شيخ الاسلام سر بهذه التحية الاسلامية وأقبل عليه يسأله حتى قال له :

- سئلي حاجتك

ثم ان التشجيع يفتح الطريق للمبقيات المحبوبة حتى تظهر وتثمر ثمرها ، وتؤتي أكلها ، ورب ولد من أولاد الصناعات أو التجار يكون إذا شجع وأخذ بيده عالماً من أكابر العلماء ، أو أديباً من أعظم الأدباء ، وفي علماء القرن الماضي في الشام من ارتقى بالجد والدأب والتشجيع من منوال الحياة ، الى منصب الافتاء ، وكرسي التدريس تحت القبة .

نشأ الشيخ محمد اسماعيل الحائك عامياً ، ولكنه يحب العلم ، يحب للعلماء ، فكان يحضر مجالسهم ، ويجلس في حلقتهم للتبرك والسماع ، وكان يواظب على الدرس لا يفوته الجلوس في الصف الأول ، فجعل الشيخ يؤنسه ويلطف به ، لما برى من دوامه وتبكيه ، ويسأل عنه إذا غاب ، فشد ذلك من عزمه ، فاشترى الكتب يحمي ليته في مطالعة الدرس ، ويستعين على ذلك بالناس من الطلبة ، واستمر على ذلك دهرأ حتى أتقن علوم الآلة ، وصار واحداً زمانه في الفقه والأصول ، وهو ما كلف على مهنته لم يتركها ، وصار الناس يأتونه في عمله يسألونه عن مشكلات المسائل ، وعويصات الوقائع ، فيجيبهم بما يعجز عنه خولة العلماء . وانقطع الناس عن الفتى من آل المهدي فساء ذلك للمهدين والمهم ، فتربصوا بالشيخ وأضرروا له الشر ، ولكنهم لم يجدوا إليه سبيلاً ، فقد كان يحيا من عمله ، ويحيا الناس به ، وكان يمر كل يوم بدار المهدين في « القيمرية » وهو على أنان له بضاء ، فيسلم فيردون عليه السلام ، فرب يوماً كما كان يمر ، فوجد على الباب أحداً للمفتي ، فرد عليه السلام ، وقال له ساخراً :

- الى أين يا شيخ ! أذهب أنت الى (أسطبول) لتأني

بولاية الافتاء ؟ وضحك وتحك من حوله ، أما الشيخ فلم يزد على أن قال :

- إن شاء الله !

وسار في طريقه حتى إذا ابتعد عنهم دار في الأزقة حتى عاد الى داره ، فودع أهله ، وأعطاهم نفقتهم ، وسافر !

وما زال يفارق بلدأ ، ويستقبل بلدأ ، حتى دخل القسطنطينية فنزل في خان قريب من دار الشيخة ، وكان يجلس على الباب يطالع في كتاب ، أو يكتب في صحيفة ، فيعرف الناس من زيه أنه عربي فيحترمونه ويحلمونه ، ولم يكن الترك قد جنوا اللجنة الكبرى

وزارة المعارف العمومية

إعلان

تعلم وزارة المعارف أنها ستوفد هذا العام سنة ١٩٣٥ بعثة علمية من أربعة أعضاء للتخصص في اللغة الانجليزية لمدة سنتين بالبحر و ذلك لاعدادهم لتدريس اللغة الانجليزية بالمدارس الثانوية

ويشترط للترشيح للبعثة المذكورة :

- ١ - أن يكون المرشح حاصلًا على دبلوم المعلمين العليا الأدبية أو معهد التربية العالي
- ٢ - أن يكون ممن مارسوا التدريس بمدارس الوزارة
- ٣ - أن يكون حاصلًا على ٦٥ ٪ على الأقل من مجموع درجات امتحان الدبلوم

٤ - أن يجتاز بنجاح امتحان المسابقة التحريرية التي سيعقد بمدرسة التجارة العليا في الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ٥ أغسطس سنة ١٩٣٥ فيما يأتي :

الانشاء الانجليزي - مبنى اللغة ومصطلحاتها - الترجمة الى اللغة الانجليزية - وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى للدرجات وعلى ٦٠ ٪ على الأقل في كل فرع على حدة

٥ - أن يجتاز اختباراً شفويًا في المطالعة والحادثة الانجليزية يتبين منه حسن استعداده لمهمة تدريس هذه المادة وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى لمجموع الدرجات

وسيراعى في الاختيار نتيجة الامتحان التحريري والاختبار الشفوي وتقارير حضرات النظار والمفتشين ، فلي من يرغب في التقدم للالتحاق بهذه البعثة أن يقدم طلباً على الاستمارة المدموعة المعدة لذلك . ويمكن الحصول عليها من مخازن وزارة المعارف بدرب الجاميز بالقاهرة نظير دفع مبلغ ثلاثين ملياً . وترسل بعد ملئها مسجلة بطريق البريد إلى حضرة صاحب المعالي رئيس لجنة البعثات بوزارة المعارف على ألا يتأخر ورود الطلبات عن يوم ٣٠ يولييه سنة ١٩٣٥

- قال : إفتاء الشام وتدرى القبة

- قال : هالك . فاعذ على غداً !

فلما كان من الغد ذهب اليه فأعطاه فرمان التولية وكيساً فيه ألف دينار

وعاد الشيخ إلى دمشق فركب أتانه ودار حتى من بدار الهادين فإذا صاحبنا على الباب ، فسخر منه كما سخر وقال :
- من أين يا شيخ ؟

- فقال الشيخ : من هنا ، من اسطنبول . أتيت بتولية الافناء كما أمرتني

ثم ذهب إلى القصر فقابل الوالي بالفرمان ، فركع له وسجد وسلم الشيخ عمله في حفلة حافلة

ومن هذا الباب قصة الشيخ علي كزبر ، وقد كان خياطاً في سوق المسكية على باب الجامع الأموي فكان إذا فرغ من عمله ذهب جالساً في الحلقة التي تحت القبة فاستمع إلى الشيخ حتى يقوم فيلحق به فيخدمه ، وكان الشيخ يعطف عليه لما يرى من خدمته إياه ، فيشجعه ويحثه على القراءة فقرأ ودأب على المطالعة ، حتى صار يقرأ بين يدي الشيخ في الحلقة ، ولبت على ذلك أمداً وهو لا يفارق دكانه ولا يدع عمله ، حتى صار مقدماً في كافة العلوم

فلما مات الشيخ حضر في الحلقة الوالي والأعيان والكبراء ليحضر أول درس للمدرس الجديد ، فافتقدوا المريد فلم يجدوه . ففتشوا عليه فإذا هو في دكانه يخط ، فجاءوا به ، فقرأ الدرس وشرحه شرحاً أعجب به الحاضرون وطربوا له . فمئتين مدرساً ولبت خمسة عشر عاماً يدرس تحت قبة النسر ، وبقيت الخطبة في أحفاده إلى اليوم^(١)

علي أن للتشجيع عيلاً واحداً هو الفرور ، فأنا أعوذ بالله أن أغتر فأصدق أي أهل لكل ما تفضل به علي الأستاذ من النعمت ، وأرجو أن أوفق إلى الجدد والتقدم بتشجيع الأستاذ وفضله ، وأشكر للأستاذ الزيات باسمي واسم إخواني هنا ، أياديها علينا وعلى الأدب العربي ، الذي سميت وتسمو به « الرسالة » !

هلي الطنطاري

(١) ومدرس القبة الرسمي اليوم شاب أوربي الزى ، أوربي اللسان ، أوربي الزوجة . لا يدخل المسجد مرة في العام ، ولكنه مدرس القبة !

وللأخوة العظام التي أدخلهم الإسلام بها حين مدّ ظله على الأمم
وأراد أن يمحو الفروق بين بني آدم

- ٢ -

وأما الترك فكان أكثرهم قبائل أمية لا تعرف قراءة
ولا كتابة ، وتسربت إلى طوائف منهم كتابات الأمم المجاورة .
كتبت بعض الأسماء والألقاب التركية بالهيروغليفية الصينية في
القرنين السابع والثامن بعد الميلاد . ولما أريد نصير الترك النازلين
على بحر الخزر في القرن السادس ترجم لهم الكتاب المقدس ،
وكتب بالحروف اليونانية . وكذلك كتبت التركية بالحروف
اليونانية في جهات الطونة ، وكذلك كتبت التركية بالعبيرية ،
والنسطورية ، والهندية ، والسلافية ، والأرمنية الخ الخ
وقد أثر عن جماعات من الترك ضربان من الكتابة يمكن أن
يعدّا كتابة تركية . وهما الخط الأورخوني الذي دلت عليه الآثار
التي عثر عليها حوالى نهر أورخون في سيبيريا ، والخط الأويغوري .
والأول كتبت به تركية الشمال ، والثاني كتبت تركية الجنوب
فأما الخط الأورخوني فيرى أكثر العلماء أنه مشتق من
الخط الآرامى القديم . وقد كتب به فئات من الترك من القرن
الرابع الميلادى إلى القرن الثامن . وهو مؤلف من ثمانية وثلاثين
حرفاً ، أربعة منها حروف حركة ، وثلاثة منها مركبة . ويوصل
به غالباً كلمتان أو ثلاث معاً . وأحياناً يستغنى بالحرف من الكلمة
فتكتب (ت) للدلالة على آت (فرس) و (ز) للدلالة على آز
(قليل) وهكذا . ولا ريب أن هذا الخط لا يقاس بالخط العربى
وضوحاً ويسراً وكلاً

وأما الخط الأويغوري وهو أحدث الخطين ، وأطولهما عهداً ،
وأوسمهما انتشاراً ، فيظن أنه حل محل الخط الأول منذ القرن
الثامن الميلادى . كتبت به أول الأمر ترجمة الكتب البوذية ،
وبقى بين الأويغوريين وغيرهم من الترك ، بعد أن دخلوا في
الإسلام فكتبت به الدولة الخاقانية في كاشغر (٣٢٠ - ٦٠٩ هـ)
والدولة الجكنجية ، والابليخانية (٦٥٤ - ٧٤٤) ودولة آلتون
أوردو في قفجاق (٦٢١ - ٩٠٧) . وكتبت به بعض الكتب
الإسلامية حتى القرن العاشر الهجرى . وهذا الخط مشتق من
الخط الصغدى والصغدى مأخوذ من الآرامية أيضاً ، وهو
أربعة عشر حرفاً يدل بعضها على أصوات مختلفة . وهو من

٤ - النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

الحروف المربنية

انتشر الإسلام بين الأمم فدخل الناس في الأخوة الإسلامية
وصاروا أمة واحدة ، واتخذوا اللغة العربية لسان الدين والعلم ،
لا يكتبون غيرها

ولما حيت لغاتهم على مر الزمان بجانب العربية كتبوها
بالخط العربى الذى ألفوه ، وترك من كان ذا كتاب منهم كتابته
الأولى . ولم يقتصروا في هذا شيئاً إذ كانت الكتابة العربية على
علائها أوضح وأيسر مما كان عندهم

- ١ -

كان الفرس يكتبون بالخط الفهلوى ، وهو مشتق من الخط
الآرامى القديم ، والخط الفهلوى مبهم مشكل . قال الأستاذ
براون إنه يصدق فيه ما قاله أحد الفرنسيين عن الخطابة إنها فن
إخفاء الأفكار ، بمعنى أنه خط يخفى الألفاظ . ذلك بما تشابهت
حروفه ، وبما اشتركت الأصوات المختلفة في بعض الحروف .
وقد أدى هذا اللبس إلى ما لم يمهله التاريخ في لغة أخرى . كان
الكتاب يكتبون كلمة آرامية مكان كلمة فارسية خوفاً من اللبس ،
فاذا قرأوا نظفوا بالكلمة الفارسية غير المكتوبة ، وتركوا
الآرامية المكتوبة . روى عن ابن المقفع أنه قال : إن في اللغة
الفهلوية ألف كلمة تقرأ ولا تكتب . وروى ابن النديم في المهرست
من أمثلة هذا أنهم كانوا يكتبون كلمة « بسرا » الآرامية ويقرءون
« گوشت » (لحم) بالفارسية ، ويكتبون « لها » الآرامية
ويقرءون نان (خبز) بالفارسية

ولم تكن الألفاظ الآرامية مقصورة على ما يستعار من لغة
إلى أخرى من الأسماء ، بل كان فيها أفعال وضائر وإشارات .
وكانوا يلحقون بالكلمات الآرامية خواتم فارسية الخ ، ومن أجل
صعوبة الخط الفهلوى ندر الفارثون في ذلك العهد

فكان خيراً للفرس أن كتبوا لغتهم بالحروف العربية لهذا ،

الرومي وهو أول ناظم بالتركية العثمانية نجد رسم الكلمات الآتية على هذا النسق : أل (هذا) كرر (رى) يقمز (لا ينظر) كنش (الشمس) الر (يكون) أيقدا (في القوم) أجر (يطير) ، فاذا قرأنا في كتب التأخرين وجدنا الرسم قد تمير على هذا النسق : أول ، گوروو ، باقاز ، گونش ، أولور ، أويقوده ، أوجار

وإذا قرأنا في الكتب التي كتبت قبل ثلاثين سنة لا نجد حروف الحركة مثبتة في كل مقطع . فاذا نظرنا في الكتب التي كتبت من بعد وجدنا اطراد حروف الحركات في مقاطع الكلمة . كانت الكلمات الآتية ترسم كما ترى :

تميز (تنظيف) آرداش (أخ) كنيش (واسع) دها (أيضاً) گي (مثل) قدر (مقدار) دكل (ليس) درين (عميق) گوزل (ظريف) فصارت بعد كما يأتي :

ته ميز (الماء علامة الفتحة الخفيفة) أوقاداش ، گه نيش داه ، گي ، قدار ، ده كيل ، ده دين ، گوزل

وكان يسع السكاليين أن يسبروا على هذه السيرة واصابن حديثهم بقديهم مبقين على ما دون أسلافهم ، ولكنهم آثروا ، إنقاذاً لخطتهم ، أن يبنوا الحروف المربية ، وهي الحروف التي يكتب بها مسلمو العالم كافة ، ولفقوا هجاء من الألمانية والفرنسية والابطالية قبلوا السكال المطلوب ولحقوا بالسادة الأوروبيين . ولست أقول ما قاله أحد كبار الفرس لأديب تركي يناظره في الحروف اللاتينية : « إنكم معشر الترك ليس لكم من آدابكم ما تفخرون به فآثرتم أن تسلموا عليها سترآ من الحروف اللاتينية ولكن لنا من آدابنا ما نفخر به ونحرص على قراءته في كل جيل فلننا نريد أن نغير كتابتنا » لست أقول هذا في الأدب التركي القديم ما هو جدير بالرعاية ، وقد افتنن الترك في تجويد الخط حتى صاروا أئمة فيه وصار لهم من آياته ما يجدر بكل أمة أن تحرص عليه مسألة الحروف اللاتينية ليست فيما أرى ضرورة أو إصلاحاً ولكنها فتنة من فتن تقليد أوروبا التي صربت الشرق طامة والمسلمين خاصة بالدلة والموان ، وقد بلغ الأمر أن يرى بعض الناس أن تكتب اللغة المربية أيضاً بالحروف اللاتينية ، فاذا قلت لهم فما تصنعون بأحد عشر حرفاً من الهجاء العربي ليست في الحروف

اللبس والعسر بحيث لا يقاس بالخط العربي أيضاً فكان من نعم الاسلام أن يدل بهذين الخطين الخط العربي الذي صار خط الأمم الاسلامية جماء . ثم الآثار القليلة التي أثرت في الخطين الأورخوني والأوبنوري في بقاع ضيقة ، وموضوعات قافهة لا تقاس بما كتبت باللغة التركية والحروف المربية في العهد الاسلامي إذ أخذ الترك من الحضارة الاسلامية ، ودخلوا في جماعة المسلمين ، وتمكن سلطانهم بينهم

— ٣ —

والتركية العثمانية التي اختيرت لها الحروف اللاتينية أخيراً لم تعرف في تاريخها غير الحروف المربية ، ولم تدون إلا في ظل الحضارة الاسلامية بعد سبعة قرون من الهجرة

دخل السلاجقة في الاسلام ثم أقاموا دولتهم في القرن الرابع وفتحوا بغداد سنة ٤٤٧ ، وامتد سلطانهم على آسيا الغربية من أفغانستان إلى البحر المتوسط . ثم تقسم الخلف ميراث السلف فكان من الدول السلجوقية المتعددة دولة سلاجقة الروم وهي التي نشأت في الأناطول وما يصاقبه

وكان الأدب الفارسي في القرن الخامس قد ازدهر بجانب الأدب العربي ، فأخذ السلاجقة حضارة الاسلام باللغتين المربية والفارسية . فكانت المربية لغة العلم عند سلاجقة الروم والفارسية لغة الدواوين . وكانت الأدب التركي مقصوراً على العامة ، غير مدون

ولما نشأت إمارة قرمان بعد منتصف القرن السابع صارت التركية أول مرة لغة الدواوين وكتبت بالحروف المربية وقد اشتملت هذه التركية المكتوبة على كثير من الكلمات المربية والفارسية

— ٤ —

وكانت الكتابة التركية في عهدها الأول تقارب الأسلوب العربي لا تكتب فيها حروف الحركة إلا قليلاً . ثم أثبتت حروف الطة والماء للدلالة على الحركات دون تميم . ثم انتهى الأمر في العصر الأخير إلى أن كتبت حروف الحركة في كل كلمة فصارت الكتابة التركية كالكتابة اللاتينية : كل حرف صحيح يليه حرف معتل للدلالة على الحركة

فاذا قرأنا مثلاً في ديوان سلطان ولد ابن مولانا جلال الدين

الحركة إن شئتم ، أو اعملوا غير ذلك إن استحسنتم ، فأما أن تقولوا كتبت أوربا فنكتب مثلها فذلك ضلال العقول ، وهوان النفوس ، والموت الذي لا يستره باطن الأرض

ثم لا تنس يا أخى أن اللغة العربية لغة أوزان وصيغ ، فلبست كل كلماتها في حاجة إلى الشكل ، ولو اتسع المجال لأثبت لك أن الكاتب العربى يستطيع أن يكتب سطوراً لا يحتاج فيها إلا إلى شكالات قليلة ، وقد صريت مثلاً من هذا في مقدمة الشاهنامه - هب ما قلت صواباً ، فإذا ترى في شكاوى أصحاب المطابع من كثرة صور الحروف العربية : للحرف صورة في أول الكلمة وأخرى في وسطها وثالثة في آخرها ، على حين لا يرى الطابع الأوربى أباهم للحرف إلا صورة واحدة

- بل صورتين صغيرة وكبيرة

- أجل وهذه ميزة أخرى للحروف اللاتينية

- هذه الشكاوى هي شكاوى أصحاب المال من كثرة المال ؛

كل صاحب مطبعة يؤد أن يديرها عامل واحد ، ليأخذ كثيراً ويمطى قليلاً ، وأما القارى فسيان عنده أن يكون الذين همأوا الجريدة خمسة عمال أو حائة ، ثم أخبرتني : ما الذى جعل للحروف اللاتينية هذه الميزة ؟

- صور هذه الحروف ، ثم فصل بعضها من بعض

- قد كانت الحروف اللاتينية كلها موصولة ولا تزال توصل

في كتابة اليد ، فلما كانت المطابع استحسن الأوربيون أن يفصلوا بعضها من بعض ، فما الذى يمنكم أيها المقلدون أن تفصلوا حروفكم فلا يكون للحرف في الطبعة إلا صورة واحدة ؟

- هذا يبدو لي صواباً ولكنه عجيب غريب

- أعجب منه أن تفكر في كتابة لغتنا بالحروف اللاتينية . قد

هانت علينا نفوسنا حتى صار التقليد يدبراً قريباً ، والاختراع مهما قل عجيباً غريباً

- لا تنس أن العلوم والمخترعات قربت بين الأمم وطوت المسافات بين أطراف الأرض . والأمم صائرة إلى التوحيد فلماذا لا تكتب لغات الأمم كلها بالحروف اللاتينية ؟

- أجل قربت العلوم والمخترعات بين الأمم ، ولكن أوربا

لا تعرف الأخوة بين الناس ، ولا تزال تفرق بينهم بأفقه الأشياء وهي الألوان . والتوحيد الذى تريده أوربا أن تكون هي آكلة

اللاتينية ؟ قالوا نضع لها حروفاً لاتينية بالتركيب أو النقط . قياساً بة الأمم ، وعار الأجيال ، وموت النفوس ، لماذا يحملون من أنفسهم واضعين مخترعين في حروف اللاتينية ، ولا تكون مافي حروفكم من نقص ، وتصلحون ما بها من عيب ؟ جرى الجدال بينى وبين واحد منهم فكان منه الجواب الآتى :

قلت : كيف تكتب ، خاشماً وخاصماً ، بالحروف اللاتينية ؟ قال هكذا : Khaashji و Khadij فأركب K ، H للدلالة على الخاء ، و S ، H للشين وأضع مداً على A وأدل على العين بالحرف i مفصلاً عما قبله بشولة كما يفعل المستشرقون

قلت فلماذا كل هذا العناء ؟ لقد اضطررت أن تنقط وتشكل في الحروف اللاتينية ، أترى هذا أيسر وأبين من خاشع وخاصع ، قال : لا ، ولكن الكلمتين بالنقط العربى خاليتان من حروف الحركة

قلت : فضع كسرة تحت الشين والصاد . وهذا حسبك ، بل لست في حاجة إلى هذه الكسرة فوزن الكلمة يمين حركاتها . قال هذا صحيح في هذا المثال ، فما بال الكلمات الأخرى . قلت : صدقت فهلم نتناول الموضوع على عمومه

- ماذا تنعمون من الكتابة العربية ؟

- ننعم منها أنها كتابة لاتينية عن الألفاظ ، فهذه الصورة « حسن ، قراً حَسَن ، وحُسَن ، وحِسن ، وحسن ، وحسن ، الخ

- قد كانت كتابتنا أول عهدنا غير معجمة ولا مشكولة ، مثلاً كانت الجيم والحاء والخاء ترسم بصورة واحدة فأهجم

السلف الحروف فامتاز بعضها من بعض ، ثم وجدوا الحرف الواحد في أكثر حالاته مبهم الحركة ، فشكلوا الحروف فتميزت الحركات ، واستبان الألفاظ ، وكان للحروف صور غير صورها الحاضرة ، أزال بها الاختراع ، والتجميل والتجويد حتى بلغت جمالها الحاضر ، وتمتدت الخطوط ، وجعل لكل مقصد

ضرب يوائمه ، فكان خط الثلث والنسخ والرقعة وغيرها . فإن كنتم يادجال القرن العشرين أحياء قادرين على الابتعا ، آية آفنين من المحاكاة ، وإن تكن عقولكم غير سقيمة ، وقراهمكم غير عقيمة ، فانظروا في كتابتكم ، فإن رأيتم عيباً فاصلحوه ، وإن آنستم نقصاً فأكملوه ، ولا تكونوا في عصور العلم ضلالاً ، وفي نور القرن العشرين ظلالاً ، أدخلوا في الكتابة حروف

ونحن ما كولين . وهذا حديث يضيق عنه مقامنا الآن . وبعد فلماذا يكون توحيد الكتابة بالحروف اللاتينية ولا يكون بالحروف العربية ؟ ان أردت أن تمتحن صدق الداعين إلى التوحيد فادعهم إلى استعمال الحروف العربية فستبغ بهم الكبرياء والازدراء والسخرية والمعجب ألا يجيئك بكلمة . ولن يكون ذلك لما عرفوا من فضل حروفهم على حروفنا ، بل لأن هذه حروفهم وتلك حروفنا . وسيترك في السخرية من لم ير الحروف العربية قط . ثم هل اتفق الأوربيون على الكتابة بحروف واحدة ؟ وهل استعملوا الحروف التي اتفقوا عليها بأسلوب واحد ؟ أذكر أنه منذ ثلاث سنين جاء إلى أستاذ كبير في الجامعة المصرية كتاب من جماعة في أوروبا يدعونه إلى العمل معهم على تميم الحروف اللاتينية في العالم ، فسألني رأيي فيما يجيبهم به فقلت ان كان لابد أن نجيب فاكذب إليهم أن ابدأوا بكتابتكم فوحدوها فإذا صار الروسي واليوناني والألماني والفرنسي والانكليزي والاسباني الخ يكتبون بحروف واحدة ، وأجمعوا في كتابة هذه الحروف على نخط واحد فاكذبوا إلينا لنفكر في الأمر

وبعد ، فاللغات يا أخي مهما أحكمت كتابتها ، لا تؤخذ من الكتب وحدها بل لابد لها من التلقين . تعرف الكلمة بالسمع ثم تدل الكتابة عليها دلالة تامة أو ناقصة . وكثيراً ما تكون الحروف كالرموز أو العلامات يلحها الانسان فيعرف ما وراءها من لفظ قبل أن يكمل قراءتها ، ويدرك اللفظ من صورة الحروف مجتمعة بل كأنه يفهم المعاني من النقوش دون توسط الألفاظ . وإذا أسرع القاري سلط عينيه على المكتوب وقصّر لسانه عن مجاراة عينيه ، ثم يا أخي هل بلغت الحروف اللاتينية التي فتنت بها درجة الكمال ، ورثت من العيوب ؟ ألت ترى الصوت الواحد تدل عليه حروف عدة فصوت الكاف تدل عليه c , k , q ، والحرف الواحد يدل على أصوات مختلفة فالحرف c يلفظ مرة ك وأخرى س ، و s يكون س حيناً وحيناً ز وهلم جرا

والكتابة الفرنسية ، وهي أدق الكتابات الأوربية ، فيها عيوب كثيرة فاللفظ الواحد أو الألفاظ المتحدة في الصوت تكتب بصورة مختلفة مثل paisis و pose, palet و pot, pause فالصوت وحده لا يدل على رسم الكلمة . وكثيراً ما الفرنسية من حروف نكتب ولا

تلفظ أحياناً كما ترى في الكلمات السابقة وأنت تعرف الكتابة الانكليزية ، ودلالاتها على الألفاظ بالجملة لا التفصيل ، وكثير من حروف فيها بلفظ ولا يكتب وآخر يكتب ولا يلفظ وحسبك مثل daughter و night laugh, neighbour و wright . ولو قرأ قارى الكلمات الانكليزية كما تدل عليها حروفها ما فهم عنه أحد ، وقل أن تسأل رجلاً أو صبياً انكليزياً عن اسمه أو اسم شارع إلا أتبع الاسم بهجائه علماً بأن الصوت لا يدل على الحروف والامبراطورية الانكليزية ، مع هذا ، لم تضمحل بهذه الكتابة ، والأساطيل البريطانية لم تصطدم بهذه الحروف وما رأيت مصرياً من الميائين الطمانيين في الحروف العربية جرؤ مرة على عيب الاملاء الانكليزي أو تنبه إلى عيوبه . وذلك بأن الحروف العربية لا تحبها امبراطورية ولا أساطيل ، نمود بالله من ضعف الهمم ، وذلل الأمم

وإن للحروف العربية لمزايا عظيمة فهي أبصر كتابة . لا تمل على صبي كلمة فيخطئ كتابتها إلا الكلمات المموزة . وهي كذلك أخصر رسماً يستطيع كاتبها أن يسار خطياً أو مدرساً فيكتب كل ما يقول ، وهي في جملتها أوضح من كتابة اليد في اللغات الأوربية . قال لي مستشرق ألماني كبير قد أثقن اللغات العربية والفارسية والتركية ، وحذق كثيراً من لغات أوروبا : « ما أشكل علىّ فقط قراءة رسالة عربية وقد أشكل على وعلى غيرى صرحت كثيرة قراءة رسائل ألمانية »

هذا إلى ملاءمة الكتابة العربية للعين . قال لي طبيب كبير من أطباء العيون : إن الحروف اللاتينية بكثرة زواياها أشق على البصر من الحروف العربية

إن مجال القول يا صاحبي واسع . وما بكم صعوبة الحروف العربية ، ولكن الغرام بتتابة أوربا ، والحجل من التمسك بما أوردتكم آباؤكم . ما بكم علة الحروف العربية ولكن علة الذلة والمهانة ، واحتقار أنفسكم وتعظيم غيركم . إن المريض يكثر التحدث عن صحته ، ويكثر اتهام الأطعمة والأشربة ، كلما أحس السقم ظن أن الماء الذي شربه قد أضربه ، أو أن الطعام الذي طعمه لم يلائمه . فكذلك أنتم تخلمون على أنفسكم على اللغة أو الكتابة أو غيرها وإعلاء الداء الدوي في أنفسكم ، والدلة القاتلة في سرائركم

(له بقية) عبد الرهّاب عزّام

المؤتمر الثامن

للمجتمعة الطبية المصرية بر مصر

للاستاذ عز الدين التتوخي

كاتب سر المجمع الطبي العربي

لذكرى ذلك النبي العربي العظيم الذي أحيا من هذه الأمة
موائها ، وجمع بمد صدع النوى شتاتها ؛ وليس فيها اليوم إلا
قلوب طاهرة وعقول ناضجة ، تفكر في إحياء هذه الفصحى المحبوبة
وإزالة بآلتها بتوحيد لغتها العلمية ، وإعادة عزتها بجمع كلة أبنائها ؛
وليس فيها كذلك إلا حفلات وولاتم متتابعات في قصر أمية
والقصر الملكي ، ودرمة محاضرات الجامعة ، وحديقة الأمة
الرائمة ، ورياض القوطة الفيحاء ، ورؤى بلودان الشام

كذلك تبدلت بالمؤتمر الثامن في دمشق لهجة صحافتها ،
فذهلت بنشر أخباره جريدة (الأيام) عن صراحتها ، و (القبس)
عن معارضتها و (الجزيرة) عن ميثاقها ، و (ألف باء) عن
اعتدالها ، و (فتي العرب) عن كفاحه ، و (الشعب) عن
طماحه ، و (المضحك المبكي) عن ظريف هزله ومزاحه
إن هذا المؤتمر — وهو دليل يقظة الأمة العربية وبرهان
رشدتها الاجتماعي — ليرمى إلى شعورها بقوتها الكاملة اليوم ،
وبقدرتها الفاعلة غدا ؛ ولذا ورد على من تخبر انمقاده في دمشق
ما خفف من بث قلمي الملتاع بتشتت هذه الأمة ، والمرتع لمسيرها
الظلم ، فسمعت لعمري به شعور الأمل الحالم اغتبط بتوهم الحقيقة ،
والهائم الحائم على مواقع القطر ابتهج برؤية أمنيته فلع نور
البشر في غمرته

ولم لا أعتبط — ليت شمري — ولا أبتجج ، أو لا تنلني
نشوة الطرب ، وبسني رأيت حسن ذلك الخيال مجسما ، وبأذني
سمعت لحن ذلك الوصال مرغما ، في بعض مجامع المؤتمر^(١) من عتاب
الأجباب على الحجر ، والأقرباء على الجفاء ، وجيرة المنازل والديار ،
على تناسي حقوق الجوار ؛ والجوار — صمرك الله — رح شابكة
وصلة واشجعة ؟ وكان مما استرقتة الأذن من قول أديب شامي
لطبيب مصري وهو يعاتبه :

« إن لم تنضموا إلينا فضمونا إليكم ، فما كان لحواجز
الاستعمار أن تقوى على فصح عربى الجوار ؛ ألسنا نحن الشاميين
نشارك إخواننا المصريين في أفراحهم وأزراحهم ؛ أما كنا نفرح
بالأسر لسعد ، ولنفوز سعد ، وأنصار سعد ؛ ألم ترمض جوائنحنا
« سيشل » بذكراها ، وتقض مضاجعنا « دنشواي » يلهاها ؛
أو لسنا نشارككم اليوم في نعيم الواحى (الراديو) فنطرب أمثالكم
لألحان أم كلثوم وعبد الوهاب ، مثلما نساكم في العلوم والآداب

(١) على حادثة القصر الملكي — أوردان بالاس — في ولاية مديرية
الصحة العامة .

مطالب جليلة ، ورغائب جميلة ، وقلوب كبيرة نبيلة ، إلى
معارف شبيهة مثقفة ، ومدارك كهولة محمصة ، ومجارب
شيخوخة عنكة ، مع كثير من الخيرات والبركات ، قد حل
دمشق أولئك جميعا بحلول رجال المؤتمر الطبي الثامن فيها

أجل تغيرت بهم في دمشق أحوال المجتمع والحياة ، فأصبح
مؤتمر حديث الأندية وملهج الألسنة ، فلم يبق في أحياء الفيحاء
من لم يتحدث به من الرجال والنساء ؛ وتبدلت كذلك فنادق
دمشق بأبنائها وموائدها وبما قام فوق صروحها من خضر الأعلام
العربية الزاهرة بأجمعها الثلاثة وهلالها خفاقة إلى جانب تلك
الأعلام الشامية الزاهية بألوانها الأربعة وجالها

ويا حبنا يوم نشاهد هذه الأعلام العربية بلغة أبنائها
وبلادها ، تقر عيوننا بكثرة أنواعها وألوانها فيتأوج غدا على
المؤتمرات العربية في دمشق : العلم المصري والشأى والمراقى
والحجازى والمائى والبرى^(١) والتونسى والجزائرى والمراكشى ،
وتتأزج فيها لهجات العرب المنتشرة في أقطار هذه الأعلام ،
فيتألف من مجموعها لحن عربى ندى يرتفع له حجاب السمع ،
ويهتز له شفاف القلب

بل قل ما أسعد ذلك اليوم الأغرة المحجل الذى نرى فيه
للأقطار العربية المتحدة — والقاهرة (وشينطونها) يومئذ —
علما عربيا واحدا ، ونسمع لها فيه نشيدا عربيا واحدا ، كما
يرى اليوم أبناء العالم الجديد لولاياتهم المتحدة الأمريكية لواء
وطنيا واحدا ، ويسمعون في جميع أبحاثها نشيدا قوميا واحدا ؛
عيدان أطلاد دمشق واجتمعا للدمشقيين في يوم واحد ، وعلى
صعيد واحد : عيد المولد النبوى ، وعيد المؤتمر الطبي ، فكأنما
اندمجت بذلك ولادة هذه الأمة الدينية الفائرة ، بولادتها السياسية
والدنيوية الحاضرة ؛ فليس اليوم في الفيحاء إلا قلوب متحف

(١) نسبة إلى بركة أى طرابلس الغرب

بإعـ الآيات والخطب والمحاضرات ؟

أوليس علماءكم في الأزهر والجامعة علماءنا ، وأدباءكم من الكتاب والشعراء أدباءنا ، وتاريخ القطرين الشقيقين يكاد يكون واحداً ، وتطالعاتنا اليوم في الكتب والمجلات والصحف المنشورة ، تكاد تكون واحدة أيضاً ؟ أولاً تعلم أن « الرسالة » يقرأها في دمشقنا هذه جبهة العلماء والأدباء من الجفنين المنيف واللطيف على السواء ؟

وكان الطبيب المصري يجيبه على أسئلته هذه المذبة الرقيقة بقوله :

— بلى ، بلى ، ونحن لكم اليوم يا أخى كذلك ، وفوق ذلك فهذا الحديث وأمثاله هو من بعض بركات المؤتمر المصري على العرب والمريية معاً . ومن أعين تلك البركات الماثورة العزم على توحيد المصطلحات العلمية ؛ في جلساتها الخطيرة بحث الخطباء في تاريخها وطرق وضعها ووسائل توحيدها ، وقد أشار كاتب سر المؤتمر الحكيم الدكتور عبد الواحد الوكيل في فاتحة الجلسة إلى أن الجمعية الطبية المصرية قد اهتمت في جميع مؤتمراتها السابقة بتوحيد المصطلحات الطبية ، فكان كل واضع يتمسب لوضعه نخرجنا من مؤتمراتنا كلها بدون فائدة ؛ ويجب الآن بعد تكوين الجمع اللغوي الملكي مع وجود الجمع اللغوي الثاني أن نخرج هذه القضية من أيدينا إلى الجمعين

وقد شجعت جمعيتنا الدكتور محمد شرف على وضع معجمه وآزرته الحكومة فوزعه على الجمعيات اللغوية في الممالك المريية ، واقترحنا أن يجعل أساساً لأعمال المصطلحات الفنية ، وأن يضاف إليه في كل طبعة ما يتممها منها ، وما يوضع من الألفاظ الجديدة فيتألف منه على الأيام معجمنا العربي المنشود

ثم بحث الخطباء في طرق الوضع وهي جمة ، فذكروا منها قبول الأسماء الأعجمية الواردة على أوزان عربية ، وليس في لغتنا ما يدل عليها ، وقبول النحت عند الضرورة في الأسماء الأعجمية المركبة ، وترجمة الأسماء التي لا يصح تعريبها ؛ وفي الأسماء العلمية المركبة من جنس ونوع قد يجب تعريب الجنس ، والنوع ذو المعنى مما يجب ترجمته لا تعريبه ؛ وأما الأسماء المنسوبة إلى الأعلام والأماكن فلا يجوز غير تعريبها ، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا ينجح إليها إلا بعد التثبت من أن دواوين اللغة وكتب الطب والعلم لا تشتمل عليها ، فإذا ظفرنا بمثل كلمة التعايش لكلمة Symbiose

وقد ذكرها الزعشمري ، لم نحتاج إلى نحتها أو ترجمتها أو تعريبها وفي خلال المباحث حدث جدال قليل بين بعض الأطباء في الدفاع عن الأوضاع ، لا محل لتفصيله ، فأنبرى لفصل الجدل بينهم الدكتور مجبوت فابت فرأينا منه خطيباً حلوا النادرة ، طلق الباردة ، يتدفق في إيراد بيناته وفكاهاته تدفق اليمبوب ، فيملأ الأسماع والقلوب ، ومما قاله :

إن العمل المشوش (المهرجل) لا يثمر أبداً ، والجمعية الطبية المريية — وهي بحمد الله كثيرة في بلاد العرب — لا تثمر ولا تنتج إن لم تعمل كذلك بطريقة علمية منتظمة ، فلأن شعبة المصطلحات الفنية في الجمعية الطبية المصرية أخذت مثل كتاب : Medical terms dictionary وقسمت ألفاظه على عدد أعضاء الشعبة ، وفي آخر كل شهر يعرضون ما وضوه على الجمعية مجتمعين ، وبعد تمحيصها وتحقيقها ، ترسلها الجمعية إلى مجمع اللغة الملكي بمصر ليحكم لها أو عليها ، فيعتبر حكمه عدلاً ، وقوله فصلاً لا جرم أن من الانصاف والحصافة أن يجمع كلمة الأقطار المريية على مجمع مصر الملكي لأنه يمثلها بالأعضاء الذين اختارهم من علمائها فإذا ما حكم بفضة لفظة فكانت حكمت بها بجامع العرب كلها ، إذ هي ممثلة فيه وعكس في نأيه ؛ وأما بجامع اللغة في البلاد المريية فتعتبر رؤاقد لجمع مصر أو مؤتمراتها اللغوية ، بما ترسله إليه من الأوضاع الجديدة ، وأعضاء الجمع المرسل يبيتون لأخوانهم في مصر توجيهاً لها ، وأسباب تعديلها وتفضيلها ، وبذلك يكون الانتاج خصباً ، والرأى على الأغلب مصيباً ، وقديماً قيل : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وجمع اللغة المصري ضعيف بواجده ، قوى بروافده

إن هذا المؤتمر الطبي الثامن لغزير النفع ، كثير الرجوع على الأمة المريية ، فمن منافسه الجليلة تمهيد السبيل إلى توحيد المصطلحات العلمية ، وتمهيد السبيل إلى تعليم الطب في المدارس الطبية باللغة المريية وبهما يتمهد السبيل إلى توحيد مناهج التربية والتعليم في بلاد العرب التي هو لمعمرى من أقوى البواعث على توحيد الثقافة المريية المؤدى إلى توحيد الأمة المريية ، وإلى سيادتها في العالم بتعارفها وتآلفها ومخالفتها :

فنحن في الشرق والغرب ونزحهم ونحن في الجرح والآلام إخوان

عز الربيه التترخي

كاتب سر الجمع الطبي

دراسات في الادب الانجليزي

المذهب الواقعي وفن الدراما

بقلم محمد رشاد رشدي

تمة

الدراما الانجليزية في عهد (درمه)

من أهم ما يميز هذا العصر - منتصف وأواخر القرن السابع عشر - انتشار فكرة غريبة ، هي محاولة حل كل شيء في الوجود بواسطة العقل والتفكير ؛ وقد كان (بولو) على حق حينما قال : (إن ديكرات قد ذبح الشمر) - على أن هذه العادة نشأت نتيجة لحضارة هذا العصر التي كانت قائمة على أكتاف الطبقة الوسطى - ونحن لانجد عصرًا من عصور إنجلترا كان نصيب الفلاح فيه أقل مما كان في ذلك العصر ؛ مع أن مادة الفن الفزيرة تأتي دائماً من الفلاح حيث يعيش الرجل جنباً إلى جنب مع الطبيعة ، ويواجه مصائبها وشؤونها كل ساعة وكل يوم فيتحايل على فهمها وإدراك أسرارها لا بالمسلم والتفكير بل بالدين والفن في هذا العصر لبست الدراما ثوب النثر وأخذت (الكوميديا) تنقد عادات الناس وأحوالهم ، فهي تارة ساخرة وتارة مهذبة ناصحة ، وأخرى مستهتره مهتكة - على أن حوادثها وشخصياتها كانت كثيرة المطابقة للواقع ، حتى أن بعض الكتاب كان يبنى قصصه بناءً تاماً على حوادث شخصية وقعت له أو لمن يعرفهم - وإن كان نغمة شيء ينقص من واقعية هذه (الكوميديا) فهو أن الكاتب كان كثير الحضور والظهور في قصته - فهو يكاد يكون دائم الحديث على ألسنة أبطاله ، إما ناصحاً أو متفكهاً أو ناقدًا أو جاعلاً هؤلاء الأبطال الذين لا يمتنون للشمر بسبب - وللحياة اليومية بكل سبب - يتحدثون بلغة هي أبعد ما تكون عن لغة الحديث العادية . أما (التراجيدية) فقد انجذبت أنجهاً آخر كان فيه القضاء عليها ، فبدت تصور عالماً كله بطولة وحجب وشجاعة ، وأضحى أبطالها آلات تنفخ بالفضيلة والطهر والروءة في كلام موزون مقفى ثقيل على الأذن لا مروءة فيه ولا عبقرية ؛ وإنما كان هذا التصور الخاطئ للحياة رد فعل للنجو الاباحي

المستهتر الذي كان يعيش فيه شعراء العصر وطبقته العليا - كما كانت الفضيلة والبطولة مثل الفروسية الأعلى في القرون الوسطى - رد فعل لخلو الحياة في ذلك العصر خلواً يكاد يكون تاماً من كل ما هو فاضل برئ

نهضة الدراما في القرن التاسع عشر : كانت حياة المسرح الانجليزي

في القرن الثامن عشر حياة خاملة لا نشاط فيها ولا جدة ، ولو أن نجماً أو نجمين سطعا في سماءه ثم أفلا - وأعني بهما (شريدان) و (جولد سميث) . والآن ونحن نريد أن نمالج نهضة القرن الثامن عشر الحديثة نجد ربنا أن نذكر شيئاً عن كل من الانبعاثية (الكلاسيك) مذهب العهد المتقزز ، والابتداعية (الرومانتيزم) مذهب العهد الناهض الجديد . والحق أن كلا من المذهبين ينشأ عن وجهة نظر خاصة نحو الطبيعة البشرية . (فالانبعاثية) تعتبر الإنسان حيواناً حقيراً بطبيعته ، وتعتبر أنه لا يستطيع أن يرق وينهض إلا بالطاعة وخكم النفس والعمل الدائم . ومن هذا كانت الطاعة وضبط النفس أظهر مميزات هذا المذهب ، وأنت تجدتها تتجلى في الفن (الانباعي) في دقة الأشكال والأوضاع ، وفي صقلها صقلًا تاماً ، ثم في خلوه من كل ما من شأنه التطرف والعنف . أما الابتداعية فتعتبر الإنسان نبلاً بطبيعته ، غير أن الأوضاع والأنظمة التي وضعها لنفسه هي التي حطت من قيمته وجعلته ذليلاً ضعيفاً . ومثل هذه الأنظمة المجتمع نفسه - والأخلاق - والقانون وغيرها - وإن عبارة (روسو) الافتتاحية في كتابه العقد الاجتماعي : (الإنسان حر بطبيعته ولكنه يجد نفسه مكبلاً بالقيود أينما كان) هي أول تمييز صادق (للابتداعية) وهي تتجلى في الفن في نبذ متعمد لكل القواعد والتعاريف ، وفي الاعتماد اعتماداً تاماً على قوة تعبير الفنان تعبيراً لا يفقده شكل ولا تحده قاعدة - فإن أراد الفنان (الابتداعي) أن يعالج الطبيعة لم يكن محتاجاً إلى الفلسفة تقوده وتهديه - كما كان يفعل شعراء وكتاب القرنين السابع والثامن عشر ، بل إن عليه أن يلاحظ ظواهرها فقط ، وأن يدون ملاحظاته دون تعديل ولا تهذيب

ومن هذا يتضح قرب المذهب (الابتداعي) من المذهب الواقعي - أعني اتجاه (الابتداعية) أنجهاً واقعيًا قوياً بطبيعتها - واتصالها اتصالاً أساسياً بالحقيقة والواقع . وإن شعر الشاعر الانجليزي (وردسورث) ونظريته في الأسلوب الشعري - أن

فهرتك ايس :

كذلك مسرحيات هذا الكاتب الزوجي هي مثل أعلى للواقعية الحديثة ؛ ولو أنها تختلف كثيراً عن كتابات (تشيكوف) ، ولقد تبدو قصصه - لأول نظرة - قصصاً تعالج شئوننا الاجتماعية مثل الزواج وتحرير المرأة وغير ذلك ؛ ولقد يتبادر إلى ذهن القارى أنه زوال هذه الشؤون وحلها ستزول قيمة القصص وتقل أهميتها . على أن هذا الزعم خاطئ ، فروح (إيسن) ليست بروح المصلح الاجتماعي فحسب ، بل هي قبل كل شيء روح شاعر كان إذا ما فكر في مشكلة اجتماعية ملكته عليه كل حواسه فأصبح لا يرى للمعيشة قيمة إذا هو لم يهتد إلى حلها وإزالة خطرها

ومسرحيات (برنارد شو) تعالج هي الأخرى موضوعات اجتماعية ؛ على أن الفرق بين الكاتبين عظيم ، فمعالجة (شو) لموضوعاته هي معالجة علمية بحثية ، أعني أنها لا تهتم شخصياً بل اجتماعياً - أما مع (إيسن) فهي كما قدمت موضوعات شخصية قبل أن تكون اجتماعية أو عالية - موضوعات تهتم مباشرة كأنما كان يتعلق بها كيانه ووجوده . وقد كتب (إيسن) مرة يقول :

« كل ما أكتبه له علاقة وطيدة بكل ما أحيأ خلاله ؛ وفي كل قصة أو قصيدة أكتبها أبني تحرير نفسي وصفاءها » . ومن الجلى أن هذا يختلف كثيراً عن تفكير الكاتب الأيرلندي الذي يهتم تحرير إنجلترا قبل تحرير نفسه هو ؛ وقد كان تحرير الزوجي بهم (إيسن) أيضاً ، على أن الأهمية لم تأت مباشرة ، بل أتت عن طريق نفسه وروحه . ولقد يبدو من حديثنا هذا أن مسرح (شو)

أكثر مطابقة للواقع وللروح العلمية الجديدة من مسرح (إيسن) ، على أن هذا خطأ وعكسه صحيح . والسبب في ذلك هو أن الناس يختلفون في آرائهم أكثر مما قد يختلفون في مشاعرهم وإحساساتهم - (برنارد شو) الذي يعتمد اعتماداً كلياً على الفكرة والرأى ، والذي يعيب مسرحياته من الجهة الواقعية كثرة

ظهور المؤلف في القصة - سيهرم ويذوى عندما تهرم الموضوعات التي يعالجها وتوت - أما (إيسن) الذي لا يعتمد على الفكرة اعتماد (شو) ، والذي لا يجعل من أبطال مسرحه الأعياب ودي لا قيمة لها إلا اظهار الفكرة والدعاية لها ، لا يجعل منها أشخاصاً آدميين نافذاً إلى أعماق نفوسهم - مظهرها ما قد خفي ومضيقها ما قد أظلم أو قتم - فسيظل حياً مادام الانسان والنفس البشرية حية على ما هي عليه

يكون خليطاً من الأساليب والألفاظ التي يتحدث بها الناس في حياتهم العادية - لشاهد على ذلك

ومما يشاهد في الدراما في أواخر القرن التاسع عشر نبيذ بعض كتابها - عن عقيدة وعمد - كل ما هو شعري نبذاً تاماً كاملاً . ولقد نشأ هذا عن رغبة أصحاب المذهب الجديد في إدخال طرز البحث العلمية في الأدب ، إذ يجب أن تكون الملاحظة دقيقة لا تحيز فيها كما يجب أن يكون الملاحظ مخفياً لا أثر لوجهة نظره الخاصة ، بل بدون كل ما يلاحظه تدويناً صادقاً واضحاً . وقد كتب (زولا) يقول : (لقد ترك الكيميائيون اليوم البحث عن الذهب - على أنهم لو اهتموا يوماً إلى مسنمه ، فيكون دليلهم البحث العلمي الجديد ، وإلى أشبه نفسى بهم - فأننا أكدوا وأبحث محاولاً إتمام الطريقة الحديثة التي ستهدينا ولا ريب شيئاً فشيئاً إلى الحقيقة كاملة) ؛ على أن (زولا) نفسه كان يدرك أن الدراما لأجل أن تكون فناً ، يجب أن تجمع عناصر أخرى غير عناصر العلم . وهو يذهب في كتابة أخرى له إلى أن للواقعية نفسها لوناً شرباً فنياً لا يستطيع أحد إنكاره ، إذ يقول : « من يستطيع أن ينكر أن في حجرة انعام الفقير شعراً أكثر مما في قصور التاريخ جميعها ؟ »

ومن ظواهر هذه الواقعية العلمية التي ظلت تسود الدراما منذ نهضتها في أواخر القرن الماضي إلى عهدنا الحالي ظاهرة التشاؤم والانقباض . والحق أن الواقع والتشاؤم يسيران دائماً جنباً إلى جنب ، فالعقل الانساني يعيل إلى صبح ما يخشى حدوثه بصبغة الحقيقة ، وما يرجوه وما يأمله بصبغة الحلم والخيال ؛ ولقد كانت آلهة الانسان الفطري - وقد كان يخافها كل الخوف - أقوى في تخيلته وأوضح شكلاً من حوادث حياته اليومية

أقطاب النهضة الحديثة : أثره تشيكوف

تؤكد شخصية (تشيكوف) وجود مسرحياته الخاص وأسلوبها أنه أول الكتاب الحديثين الذي حقق للشكل الأعلى للواقعية ؛ فتشاؤمه ونظرته الخاصة نحو الحياة تبدو كأنها ليست نظرة شخصية خاصة به بل نظرة أهل عصره العامة - نظرة الرومى البائس الفقير الذي كان يعيش في روسيا في القرن الماضي . فأنت لا تجد (لتشيكوف) دعاية خاصة يدعو بها أو عقيدة يدافع عنها ، بل هو يصور الحياة كما راها ، هادئاً قابلاً مختلفاً وراء صورته . . .

٧ - شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

ومما يدل على أن أبا العتاهية كان يحمل نفسه من أسباب
اللهو ما ليس من سببها في الزهد لأغراض له في ذلك - مارواه
صاحب الأغاني قال : حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار . قال
حدثني ابن أبي الدنيا قال حدثني الحسين بن عبد ربه قال حدثني
علي بن عبيدة الرضائي قال حدثني أبو الشعمق أنه رأى أبا العتاهية
يحمل زاملة المختنن ، فقلت له : أمتلك يضع نفسه هذا الموضع
مع سنك وشمرك وقدرك ؟ فقال له : أريد أن أتعلم كيادهم ،
وأحفظ كلامهم

وهو في أخذه بما كان يأمره به الرشيد منه ليتق به حبه
وسجنه . إنما كان يأخذ بالثقية التي يأخذ بها الشيعة ، وقد كان
على ماسياتي من رجالهم ، جرى بذلك مع الرشيد كما جرى به مع

وبرينا (أبسن) أن أعلى أنواع الواقعية في الدراما كما في كل
فن آخر - إنما يعتمد على الخيال القوي الوهاب الذي يستطيع
أن يعالج مسائل الشخصية معالجة يفهمها الجميع وتصل إلى كل
القلوب حتى لقد تبدو لها وكأنها مسائلها هي لا مسائل الشاعر ،
ونبشاتها هي قد سجلت على الورق لانبضات الكاتب الترويجي
أو الروسي أو الانجليزي ؛ وعلى هذا فني أدق مما كان يقصده
الفيلسوف الأغريقي (أرسطو) تكون شخصيات مثل هذه
الدراما (مثلنا تماماً)

فليست الواقعية وليدة بحث علمي أو مذهب أو عصر خاص ،
بل هي جزء لا ينفصل عن الشعرية الفذة والخيال القوي الذي
يصور لك ما يرسمه تصويراً حياً قوياً ، يجعلك تراه وتؤمن به
وتشترك فيه حساً وعاطفة وفكراً

محمد رشاد رشدي

بكالوريوس بامتياز في الأدب الانجليزي

الهادي والمهدي ، وكان إذا خرج من سجنه ، وجرى على ما يهواه
منه ، مضى معه كأن لم يكن هناك شيء يخفيه منه في دخيلة نفسه
ومدحه بشعره أحسن مدح ، وأخذ عليه منه جزيل صلاته
وجوائز ، حتى إذا غلبته نفسه بنا عليه ، وأخذ في زهده
ونسكه ، وأخذ الرشيد في الغضب عليه وسجنه وحبه ،
وأبو العتاهية راح في الحالين ، قاض لنفسه غرضها من مال
المباسبين ، ولذبه السياسي الذي سنشرحه غرضه من ذم
دنياه ، والنبي على ما في دولتهم من فساد ديني وسياسي واجتماعي .
وقد أخبر ابن أبي العتاهية أن الرشيد لما أطلق إليه من الحبس
لزم بيته وقطع الناس ، فذكره الرشيد فعرف خبره ، فقال :
قولوا له صرت زير نساء ، وجلس بيت ! فكتب إليه
أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بالناس وأخلاقهم فصرت أستاذنا بالوَخْدَةِ
ما أكثر الناس لعمري وما أقلهم في منتهى المِدَّةِ
ثم قال : لا ينبغي أن يحصى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه
مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها وهي :

عاد لي من ذكره نَصَبُ فدموعُ العين تنسكبُ
وكذلك الحبُّ صاحبُه يستريحُ الهمُّ والوصبُ
خيرُ من رنجي ومن يَهَبُ مَلِكٌ دانت له العربُ
وحقيق أن يُدَانَ له من أبوه لثني أب
ولما عقد الرشيد ولاية المهدي لبنيه الثلاثة : الأمين والمأمون
والمؤمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عن الرِّبْعِ الحِمْليِّ قَعُودِي
إلى ذِي زُخُوفٍ جَمَّةٍ وجنود
وراع يرعى الليل في حفظ أمة يدافع عنها الشر غير رَقُود
بالوبة جبريلُ يقدم أهلها ورايات نصر حوله وُشُود
تجسَّافُ عن الدنيا وأيقن أنها مفارقة لبست بذار خلود
وتشدُّ عرَى الإسلام منه بفتية ثلاثة أملاك ولأثر عهود
مهم خير أولاد لهم خير والد له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هارون حول سريره

تَغْيِيرُ قِيَامِ حَوْلِهِ وَقُعُودِ

تَقَلَّبَ الْحَظَّ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ 'عَيُونُ ظَبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدٍ
خَدُودُهُمْ شَخْصٌ أَنْتَ فِي أَهْلَةٍ تَبَدَّتْ لِرَأْيٍ فِي نَجْمٍ سَعُودٍ
فَوَصَلَهُ الرِّشِيدَ بِصَلَةٍ مَا وَصَلَ مِثْلَهَا شَاعِرٌ آقَطٌ

ثم انقضى عهد الرشيد وجاء بعده عهد ابنه الأمين ، وحصل
ما حصل من الخلاف بينه وبين أخيه المأمون ، فاضطرب أمر
الدولة ، ووجد أبو التهاية من ذلك ما يساعده على المضى في
سبيله من الزهد ، واستخدام شعره في دعوة الأمة إليه ، وتهوين
أمر الدنيا التي فتنوا بها عن الآخرة ، ولم يعد يقول الشعر في
التنزل والمجون وما إليهما ؛ ولكن لم يقطع صلته بملوك العباسيين
ولم يتخرج من مدحهم الحين بمد الحين طمعاً في أموالهم .
ومستكمل بمد في أمر ذلك الزهد

حدث عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلت
مسجد المدينة ببغداد بمد أن يبيع الأمين محمد بسنة فإذا شيخ
عليه جماعة وهو ينشد :

لَهْفَى عَلَى وَدَقِ الشَّبَابِ وَغَصُونُهُ الْخُضْرُ الرُّطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَانَ عَنِّي (م) غَيْرُ مُتَنَظَّرِ الْآيَابِ
فَلَأَبْكِيَنَّ عَلَى الشَّبَابِ وَطَيْبِ أَيَّامِ التَّصَابِ
وَلَأَبْكِيَنَّ مِنَ الْبَيْلَى وَلَأَبْكِيَنَّ مِنَ الْخُضْرَابِ
إِنِّي لَأَمَلُ أَنْ أُخَلِّدَ دَ وَالنَّسَبَةَ فِي طِلَافِ
قَالَ فَعَمِلَ يَنْشُدُهَا وَإِنْ دُمُوعُهُ لَتَسِيلُ عَلَى خَدَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ
ذَلِكَ لَمْ أَصْبِرْ أَنْ مَلْتُ فَكْتَبْتُهَا ، وَسَأَلْتُ عَنْ الشَّيْخِ ، فَقِيلَ لِي :
هُوَ أَبُو التَّهَائِيَةِ

وحدث حبيب بن الجهم الفيرى قال : حضرت الفضل بن
الربيع متجراً جازقاً وفرضي ، فلم يدخل عليه أحد قبلي ، فإذا
عون حاجبه قد جاء فقال : هذا أبو التهاية يسلم عليك ، وقد
قدم من مكة ، فقال : أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي ،
فخرج إليه عون فقال : إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين ، فأخرج
من كنه فملاً عليها شركاً مكتوب عليه :

نَعْلٌ بَعَثَ بِهَا لِبَلْبَسِهَا قَرْمٌ بِهَا يَتَمَنَّى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أَمُرَّ كَهَا خَدَى جَمَلَتْ شِرَاكَهَا خَدَى
ثُمَّ قَالَ لَمَوْنٌ قُلْ لَهُ إِنَّ أَبَا التَّهَائِيَةِ أَهْدَاكَ إِلَيْكَ ، فَدَخَلَ بِهَا

عليه فقال له احملها معنا ، فلما دخل على الأمين أخبره بها ، وأنه
رأى أن أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها ، فقرأ
الأمين البيت فقال : أجاد والله وما سبقه إلى هذا المعنى أحد ،
هبوا له عشرة آلاف درهم ، فأخرجت والله في بدرة وهو راكب
على حمارة ، فقبضها وانصرف

ولما تولى المأمون بمد أخيه الأمين حسن حال أبي التهاية
في عهده ، وكان المأمون أحسن حالاً من الملوك العباسيين قبله ،
فقرب أبا التهاية منه ، وأكثر من بره وصلته والاحسان إليه
بحال يفعل مثله معه سلفه ؛ ومن ذلك أن أبا التهاية كان يحج كل
سنة ، فإذا قدم أهدى إلى المأمون برداً ومطرفاً ونعلين سوداء
ومياويك أراك ، فيبعث إليه بمشرين ألف درهم

ودخل عليه مرة فأنشده :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مِنْ نَالِهَا
مَنْ لَمْ يُؤَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا عَرَضَ لِلْأُدْبَارِ إِقْبَالَهَا
فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : مَا أَجُودَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ ، فَأَمَّا الثَّانِي فَمَا
صَنَعْتَ فِيهِ شَيْئًا ، الدُّنْيَا تَدْبِرُ عَنْ وَاسِيٍّ مِنْهَا أَوْ ضَنْ بِهَا ، وَإِنَّمَا
تُوجِبُ السَّاحَةَ بِهَا الْأَجْرَ ، وَالضَّنُّ بِهَا الْوُزْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ الْفَضْلِ أَوْلَى بِالْفَضْلِ ، وَأَهْلُ النِّقْصِ أَوْلَى
بِالنِّقْصِ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِأَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ لِاعْتِرَافِهِ
بِالْحَقِّ . فَلَمَّا كَانَ بِمَدِ أَيَّامٍ مَادَ فَنَاشِدُهُ :

كَمْ غَافِلٌ أَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ لَمْ يَأْخُذْ الْأَهْبَةَ لِلْفُوتِ
مَنْ لَمْ تَزَلْ نِعْمَتُهُ قَبْلَهُ زَالَ مِنَ النِّعْمَةِ بِالْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ ، الْآنَ طَبِيتَ الْمَعْنَى ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَشْرَيْنِ
أَلْفِ دَرَاهِمٍ

فإذا رأينا المأمون بمد ذلك زهد في هذا الملك العظيم لأهله
من بني العباس ، ويؤثر به من بعده الامام عليا الرضى من آل
علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فيزوجه بنته أم حبيب ، ويجمله
ولى عهده ، ويضرب اسمه على الدينار والدرهم ، فإن لشعر أبي
التهاية أعظم الأثر في ذلك ؛ وهذه هي النتيجة والثمرة التي جاهد
به من أجلها ، فقد سعى في تهديد الناس في كل أسباب الدنيا
والتكالب عليها ، ليزهد العباسيين في التكالب على هذا الملك

٢٩ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح
ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

تمتمة الحوار

فهذه الأنهار عديدة وقوية ومنوعة ، منها أربعة رئيسية أعظمها وأقصاها نحو الخارج هو ذلك السمي بالاقيانوس oceanus الذى يجرى فى دائرة حول الأرض ، ويسير فى الاتجاه المضاد له نهر أشيرون Acheron الذى يجرى تحت الأرض فى ربوع جدياء حتى يصب فى بحيرة أشيروزيا Acherusian Lake : هذه هى البحيرة التى تذهب إلى شواطئها أرواح الدماء حين يدركهم الموت ، حيث يلبثون أجلاً مضروباً ، يكون طويلاً لبعضها قصيراً لبعضها الآخر ، ثم تمود ثانية لتحل فى جسوم الحيوانات . وينبع النهر الثالث فيما بين ذينك النهرين ، وهو يصب على مقربة من منبعه فى منطقة شاسعة من النار ، حيث يكون بحيرة أوسع من البحر الأبيض المتوسط ، يغلى فيها الماء والطين ، ثم يخرج منها عكراً مليئاً بالوحل ، فيدور حول الأرض حتى يبلغ فيما يبلغ من مواضع أطراف بحيرة أشيروزيا ، ولكنه لا يختلط بمائها ، وبعد أن يتحوى فى عدة ثبابا حول الأرض ، يقوص إلى جهنم أدنى مما كان مستوى . هذا هو نهر بيرفليجثون Pyriphlegethon — كما يسمى — الذى يقذف فى كل مكان بفوارات من النار . ويخرج النهر الرابع فى الجهة المقابلة ، ويسقط أول ما يسقط فى منطقة ههجة متوحشة ، تصطبغ كلها باللون الأزرق القاتم الذى يشبه حجر اللازورد ، وهذا النهر هو ما يسمى نهر ستيجيا Stygian River وهو يصب فى بحيرة ستيكس Styx التى يكونها ، وبعد أن يصب فى البحيرة ويستمدد لثائه قوى عجبية ، يجرى تحت الأرض ، دائراً حولها فى اتجاه يضاد نهر بيرفليجثون ، ويلتقى به فى بحيرة أشيروزيا من الجهة المقابلة ، ولا يختلط ماء هذا النهر أيضاً بغيره ، بل يجرى فى دائرة ويتدفق فى جهنم ، مقابلاً لنهر بيرفليجثون ويسمى هذا النهر كوكيتوس Cocythus كما يقول الشاعر تلك هى طبيعة العالم الآخر ، فلا بكاد الموتى يصلون إلى حيث تحملهم شياطينهم وحداناً حتى يقضى فى أمرهم بآدى ذى

الذى يعلكونه منها ، ويمودوا به إلى سيرته الأولى ، فيتولاه أصلح الناس له ، ولا يستأثر به أحد على غيره ؛ وهذا هو ما فعله المأمون مع على الرضا ، فقد كان بمدينة مرو وفيها على ، فاستحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء ، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار ، واستدعى علياً فأنزله أحسن منزلة ، وجع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر فى أولاد العباس وأولاد على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فلم يجد فى وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من على الرضا ، فبايعه وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ؛ وقد قام بسبب ذلك تلك الفتنة المروفة بينه وبين عمه إبراهيم بن المهدي ، فقضت على تلك الفكرة الصالحة ، ومضى العباسيون فى أمرهم إلى أن ملكهم خولهم وجنودهم من الترك وغيرهم ، وانتهى أمرهم بتلك النكبة التى انتهت بها ، ولا يعلم إلا الله ماذا كان يعود من الخير على المسلمين لو تم للمأمون من ذلك ما أراد ، ورجع أمر المسلمين إلى ما كانوا عليه من الشورى فى عهد النبوة والخلافة

وقد بلغت سن أبى العتاهية فى عهد المأمون تسعين سنة ، وأدركه أجله فى تلك السن سنة ٢٠٩ هـ وقيل سنة ٢١١ هـ

وروى محمد بن أبى العتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه :

إلهى لا تمذبنى فاني مقرٌ بالذى قد كان منى
فالى حيلة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي فى الخطايا وأنت على ذو فضل ومنى
إذا فكرت فى ذنبي عليها عضضت أناملى وقرعت سنى
أجنُّ زهرة الدنيا جنونا وأقطع طول عمرى بالتمنى
ولو أنى صدقت الزهد فيها تلبت لأهلها ظهر المجننى
بظن الناس بى خيراً وإنى لشر الخلق إن لم تعف عني
ثم أمر أن يكتب على قبره

أذن حى تسمى لىسمى ثم عى وعى
أنا رهنٌ بمضجى فاحذرى مثل مصرعى
عشت تسعين حجة أسلمتنى لمضجى
كم ترى الحى ثابتاً فى ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقي فخذى منه أو دعى
عبد المتعال الصعبرى

فيه ولا عائباً ، أن يكون الصواب شيئاً كهذا ، وأنه منه لظن عظيم ، ولا بد له أن يسرى عن نفسه غثل هذه الكلمات ، فمن أجلها أطلت حكايي ، ولهذا أوصيكم ألا يأخذ أحد على روحه الأسى ، مادام قد طرح زينة الجسد ولذائذه ، واعتبرها غريبة عنه ، بل هي أدنى إلى لئذائه بما تجر وراءها من أثر ، ومادام في هذه الحياة قد تعقب لذة المعرفة ، إلا أن أولئك الذين يزبنون أرواحهم بلائها الصحيحة ، وهي : الاعتدال والمعدل والشجاعة والنبيل والحق - أولئك تكون أرواحهم ، إذا ما أزيئت بتلك اللآلئ ، مهابة للرحيل إلى العالم السفلي حين يدركها الموت . فأنتم ، أي سمياس وسيديس ، وباسائر الرجال ، سترحلون في وقت قريب أو بعيد . أما أنا ، فها هو ذا يناديني صوت المقدر على حد قول شاعر الأساة ، ولا بد أن أجزع السم عما قريب ، ويجعل بي فيما أظن أن أذهب أولاً إلى الحمام حتى لا يشق على الناس غسل جثتي بعد موتي -

فلما أن فرغ من الحديث ، قال كريتون : أعتمدك ما تشير علينا به باسقراط ؟ ألدبك ما تقوله عن أطفالك ، أو عن أي شيء آخر نستطيع أن نعينك في أمره ؟

فقال : ليس عندي شيء بعينه : غير أني أحب لكم ، كما كنت أحدثكم دائماً ، أن تنظروا في أنفسكم ، فذلك فضل تستطيعون أن تواصلوا أدائه من أجل ، وهو أيضاً فضل مني لكم . ولا ينبغي لكم أن تكونوا أدعياء فيما تقولون ، لأنكم لو جهلتم أنفسكم وصدقم عما أوصيتمكم به ، وليست هذه أول مرة أوصيكم فيها ، فلن تجدى عليكم حماسة الادعاء شيئاً قال كريتون : سنبذل جهدنا ، ولكن كيف تريدنا أن نواربك التري ؟

على أي وجه تشاءون ، غير أنه لا بد لكم أن تحسكوا بي ، وأن تحذروا فلا ألوذ منكم بالفرار . ثم التفت إلينا وأضاف باسا : لا أستطيع أن أقنع كريتون أنني سقراط ذاته الذي كان يتحدث وبوجه الحوار ، فهو يحسبني سقراط الآخر الذي سيشهد به حين جثة هامدة - وهو يسأل : ماذا عسى دفتي أن يكون ؟ مع أني قد أفضت في الحديث محاولاً إقامة الدليل على أني تخلفكم حين أجزع السم ، حيث أتوجه إلى لذائذ أصحاب النعيم - ويظهر أنه لم يكن للحديث هذا الذي سررت به عن أنفسكم وعن نفسي ، أثر في كريتون ، لذلك أريدكم أن تكونوا لي الآن عنده كفلاء ، كما كان هو كفيل عند المحاكمة :

بدء ، إن كانوا أتفقوا الحياة في الخير والتقوى أم لا ، فمن ظهر منهم أن حياتهم لم تكن لا إلى الخير ولا إلى الشر ، فأنهم يذهبون إلى نهر أشيرون ، ويركبون ما يصادفونه من وسائل النقل ، فيحملون فيها إلى البحيرة حيث يقيمون ويظهرون من أوزارهم ويماونون جزاء ما أساءوا به للناس من أخطاء ، ثم يشتغل لهم وينالون جزاء وفقاً بما قدمت أيديهم من خير . أما أولئك الذين لا يرجي لهم اصلاح ، فيما يظهر ، لفداحة ما أجرموا ، أولئك الذين أنوا من الآثام المتكررة شيئاً كثيراً ، ككتنديس المعابد وازهاق الأنفس ازهاقاً جديداً عنيفاً أو ما أشبه ذلك - أولئك ياتي بهم في جهنم لا يخرجون منها أبداً ، فهي لهم أنسب مصير . أما هؤلاء الذين أجرموا اجراماً لا يجيل عن العفو على هول - أولئك الذين قسوا على والد أو والدة مثلاً وهم في سورة من الغضب ثم أخذهم الندم مدى ما بقي من حياتهم ، أو الذين قتلوا نفساً مدفوعين بظروف تخفف من جرمهم - هؤلاء يغمسون في جهنم ، ولزام عليهم أن يصلوا عذابها حولاً ، وفي نهايته تقذف بهم الموجة : أما قاتل النفس فتقذف به إلى مجرى نهر كوكيتس ، وأما قتل الآباء والأمهات فإلى نهر يرفليجيثون - فيحملون إلى بحيرة أشيروزا حيث يرفعون عقائرهم صائحين بضحاياهم القتل ، أو بمن نالهم منهم اساءة ، عسى أن تأخذهم بهم رحمة فيقبلوهم ويسمحوا لهم بالخروج من النهر إلى البحيرة . فان نالهم الرحمة من أولئك ، خرجوا ومجوا من عذابهم ، وان لم يرحمهم حملوا إلى جهنم مرة أخرى ، ومنها إلى الأنهار ، وهكذا دواليك حتى يظفروا بمن أساءوا إليهم بالرأفة ، فهكذا قضى عليهم قضائهم . أما من امتازت حياتهم بالتقوى ، فأولئك يطلق مراسلهم من هذا السجن الأرضي ، فينطلقون إلى عليين حيث يقيمون في مقامهم الطاهر ويمشون على تلك الأرض وهي أنقى ؛ وأما أولئك الذين طهروا أنفسهم حقاً بالفلسفة فهم يعيشون منذ الآن متجلبلين من أجسادهم في منازل أجل من تلك ، يمجز عنها الوصف ويضيق الوقت أن أحدثكم عنها

إذن يا سمياس ، وقد رأيت هذه الأشياء كلها ، فماذا ينبغي لنا ألا نفعله لكي ننظر بالفضيلة والحكمة في هذه الحياة ؟ ألا إن الجزء الجليل ، والأمل لعظيم

لست أريد أن أقطع بصدق الوصف الذي قدمته عن الروح ومنازلها - فما ينبغي لرجل ذي فطنة أن يقطع بهذا ، ولكنه في رأي حقيق ، وقد اتضح خلود الروح ، أن يجازف بالظن ، لا خاطئاً

إنذارهم . إنهم كانوا يأكلون ويشربون وينتمسون في لذائذ الحس ، فلا تتمجل إذن ، اذ لا يزال في الوقت متسع .
فقال سقراط : نعم يا كريتون ، لقد أصيب من حدثتي عنهم فيما فعلوا ، لأنهم يحسبون أن وراء التأجيل نفعا يمنونه ، وإنى كذلك لعلى حق في ألا أفعل كما فعلوا ، لأننى لا أظن أنى منتفع من تأخير شراب السم ساعة قصيرة . اننى بذلك إنما أحتفظ وأبقى على حياة قد انقضى أجلها فعلاً ، انى لو فلت ذلك سخرت من نفسى . أرجو إذن أن تفعل بما أشرت به ولا تمص امرى فلما سمع كريتون هذا ، أشار إلى الخادم فدخل ، ولم يلبث قليلاً أن عاد بصحبه السجان يحمل قدح السم ، فقال سقراط : أى صديق العزيز ، انك قد صرنت على هذا الأمر ، فأرشدنى كيف أبدأ . فأجاب الرجل : لا عليك إلا أن تجول حتى تنقل ساقك ثم ترقد ، فيسرى السم . وهنا تناول سقراط القدح فدخل في الرجل بكل عينيه ، يا أشكراتس ، وأخذ القدح جريئاً ودباً لم يراع ولم يمتنع لون وجهه . هكذا تناول القدح وقال : ما قولك إذا سكبت هذا القدح لأحد الآلهة ؟ أفيجوز هذا أم لا يجوز ؟ فأجاب الرجل : اننا لا نعبده ياسقراط إلا بمقدار ما نظنه كافياً فقال : انى أنهم ما تقول ، ومع ذلك فيحق لى بل يجب على أن أصلى للآلهة أن توفقنى في رختى من هذا العالم إلى العالم الآخر . فلعل الآلهة تهينى هذا ، فهو صلاتى لها . ثم رفع القدح إلى شفثيه وجرح السم حتى الثمالة رابط الجأش مضطجاً ، وقد استطاع بمظلمنا أن يكبح جراح حزنه حتى تلك الساعة ، أما وقد رأيتاه يشرب السم ، وشهدناه يأتى على الجرعة كلها ، فلم يبعد فى قوس الصبر منزع ، وانهمز منى الدمع مدراراً على الرغم منى ، فسترت وجهى ، وأخذت أغيب نفسى ، حقاً انى لم أكن أبكيه بل أبكى فيميتى فيه حين أقعد مثل هذا الرفيق . ولم أكن أول من فعل هذا ، بل أن كريتون ، وقد ألقى نفسه عاجزاً عن حبس عبراته ، نهض وابتعد ، فتمتته ، وهنا انفجر أبولودورس الذى لم ينقطع بكأوه طول الوقت ، بصيحة عالية وضعتنا جميعاً موضع الجنائز ، ولم يحتفظ بهدوءه منا إلا سقراط ، فقال : ما هذه الصرخة العجيبة ؟ لقد صرفت النسوة خاصة حتى لا يسنن صنيماً على هذا النحو ، فقد خبرت أنه يبنى للإنسان أن يسلم الروح فى هدوء ، فسكوناً وصبراً .
فلما سمعنا ذلك ، اعترانا الحجل وكفكفتنا دموعنا ، وأخذ سقراط يتجول حتى بدأت ساقه تخوران . كما قال . ثم استلقى

على أن يختلف وعدمكم عما وعد ، فقد كان كفل للقضاء أنى سابق ، ولكن عليكم أن تكفلوا له أنى غير باق ، بل لى ظاعن راحل ، فتقل بهذا لوعته عند موتى ، ولا يحزنه أن يرى جثمانى يحترق أو يهال عليه التراب . لى لا أحب له أن يتحسر على جدى العائر ، بأن يرثى لدفتى ، فتأخذ الحيرة : على هذا النحو تكفن سقراط ، أو هكذا نسيه إلى القبر أو نواريه التراب . إن الأقوال الباطلة ليست شرّاً فى ذاتها فحسب ، بل إنها لتصيب الروح بشرها . لا يحزن إذن ، أى عزيزى كريتون ، وقل إنك لا تقبر منى إلا الجنان ، فاقبره على النحو الذى جرى به العرف ، وكما تفعل أن يكون ولما فرغ من هذه العبارة ، نهض ودخل غرفة الحمام ، يصحبه كريتون ، الذى أشار إلينا بأن ننتظر ، فانتظرنا نتحدث ونفكر فى أمر الحوار وفى هول المصاب . لقد كنا كمن نكل فى أيه ، وأوشكنا أن نقضى ما بقى من أيامنا كالآيتام ، فلما تم اغتساله جرى له بأبنائه . (وكانوا طفلين صغيرين ويا فمناً) كما وفدت نساء أسرته ، فحاذهن وأوصاهن ببعض نصحه ، على مسمع من كريتون ، ثم صرفهن وعاد إلينا

ها قد دنت ساعة التروب ، فقد قضى داخل الحمام وقتاً طويلاً ، وعاد بمسد اغتساله فجلس إلينا ، ولكننا لم نلفظ فى الحديث ، وماهى إلا أن جاء السجان ، وهو خادم الأجد عشر ، ووقف إلى جانبه وقال : لمت أنهلك ياسقراط بما عهدته فى غيرك من الناس ، من سورة القضب ، فقد كانوا يشورون ويصيحون فى وجهى حيناً أمرهم باجتراع السم ، ولم أكن إلا صاعداً بأمر أولى الأمر . أما أنت فقد رأيتك أنبل وأرق وأفضل ممن جاءوا قبلك إلى هذا المكان ، فليس يخامرنى شك أنك لن تنقم على ، فليس الذنب ذنبى ، كما تعلم ، إنما هى جريرة سواى . وبعد ، فوداعاً ، وحاول أن يحتمل راضياً ما ليس من وقوعه بد ، وإنك لملم لم قديم قدومى إليك . ثم استدار فخرج منفجراً بالبكاء فنظر إليه سقراط وقال : لك منى جميل بجميل . فأسدع بما أرتقنى به . ثم التفت إلينا وقال : ياله من قاتن ! إنه ما انفك يزورنى فى السجن ، وكان يحادثنى الحين بمسد الحين ، وبما ملنى بالحسنى ما وسعته . انظروا إلىه الآن كيف يدفعه فعلة أن يحزن من أجلى فزام علينا يا كريتون أن تفعل ما يريد . مر أحداً أن يحمى بالقدح إن كان قد تم إعداد السم ، وإلا فقل للخادم أن يهين شيئاً منه فقال كريتون : ولكن الشمس لا تزال ساطعة فوق التلاع ، وكثير ممن سبقوك لم يجرعوا السم إلا فى ساعة متأخرة بمد

زهرتي

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

قد تصوّحت عند شرح الشباب زهرتي بفتنة فجّل مصابي
زهرتي قد جاء الريح بما ازدا ن به من نبت ومن أعشاب
ولقد قام مهرجان على الأر ض جميعاً بطا حها والمضاب
لمزيّر على ألا تكوني طاقة فوق الكلى المشاب
نبت الزهر كله فلماذا أنت يا زهرتي بحوف التراب

ضقت بالتعب فأخرجني من ظلام الأرض للنور فوقها والرحاب
أخرجني من جوف الثرى وابسى لي عن رضى أو تجهى للعتاب
أخرجني من جوف الثرى من جديد

واسحربني بلحظك الخلاب
وأعبدى إلى أسعد عهد كنت فيه وذاك عهد شبابي
قرّينى إذا أردت سلامى واصرمينى إذا أردت خرابى
وافتحى العين والمسمع دونى واسمى شدوى وانظرى إعجابى

على ظهره ، كما أشير له أن يفعل ، وكان الرجل الذى ناوله السم
ينظر إلى قدميه وساقيه حيناً بعد حين ، ثم ضغط بدمه نهاية على
قدمه بقوة وسأله هل أحس فأجاب أن لا ، ثم ضغط على ساقه
وهكذا سدد ثم صد ، مشيراً لنا كيف أنه برد وتصلب ، ثم
لس سقراط نفسه ساقه وقال : ستكون الخاتمة حين يصل
السم إلى القلب . فلما أخذت البرودة تنمى فى أعلى نخذه كشف
عن وجهه ، إذ كان قد دثر نفسه بنطاء ، وقال : (وكانت هذه
آخر كلماته) إننى يا كريتون مدين بديك لاسكليبيوس Asclepius فهل
أنت ذا كرا أن رد هذا الدين ؟ ولم يكن لهذا السؤال من جواب ؛
وماهى إلا دقيقة أو دقيقتان حتى سُميت حركة ، فكشف عنه
الخدم ، وكانت عيناه مفتوحتين ، فأقبل كريتون فنه وعينه
هكذا يا اشكرانس قضى سديقتنا الذى أدعوه بحق أحكم
من قد عرفت من الناس ، وأوسمهم عدلاً وأكثرهم فضلاً
نم المزار زكى نجيب محمود

أنا يا زهرتي دعوتك للحب (م) مراراً فلم تردى جوابي
لا تقولى إني هلكت فلا تر ج لبت ذاق الردى من مآب
أنت تحيين فى فؤادى وعينى ودمى فائراً وفى أعصابى
ايقضى من هذا الرقاد فإن الش

شمس قد ذرت من وراء الحجاب
أنت للحب والغرام بوجه الأرض لا للرقاد تحت التراب
أنت لا تخلقين يا زهرتي أن تختفى فى غياهب الأحقاب

يتهاوى دمع الأسى من عيونى كشهاب ينقض إثر شهاب
مت قبل فلو سبقتك عاهد تدموع الأسى على التسكاب
لا سلام على الريح إذا نأب ولم تصحبه عند اللثاب
ارجى لى وقتلى ولا تح ارجى ارجى كما كنت قىلا
إنى لم أرز أجل بعد قبرى غير أنى منه على الأبواب

آه إن الحياة أعجز من أن تستطيع الرجوع بعد الذهاب
بين شعير أقوله وأنى شعبة من وشائج الانساب
ذهبت زهرتي التى كنت أشدو باسمها خالياً وبين صحابى
زهرة قد سقيتها بدموعى من قتها النون بالأنياب
إننى كنت أعبد الحمن فيها ولقد كان وجهها محرابى
خطتها النون منى ككأباً ماعلى الموت بعدها من عتاب
خطتها منى ذئاب المنايا وذئاب النون شر الذئاب
قلت أسلو فاستريح ولكن كيف أسلو والحب ملء أهابى
كل شىء مذكر لى بللى لبت شعري ماذا يذكروها بى
هددتنى إذا تصدبت عيني وفؤادى والنفس بالاضراب

وكان الدنيا المريضة بحور وكانا عليه بعض الحباب
خضت بحور الهوى وكان خضاً ثم منه ركب متن العباب
ثم صارعت الموج منه فما كنه ت سوى مغلوب الى غلاب
عن عيني وعن شمالي ماله ثم إني أعدو وراء السراب
بفرداء نموز جميل صدقي الزهاوي

فصول ملخصة في الفلسفة اليونانية

١٤ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

فريدريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

على أن الروح « الديونيزوس » يكاد يكون قاشياً في كل أسواق العالم القديم . وهو عند البرابرة كان يرحبهم إلى الانهماك في المنكرات ، وإشباع الشهوة الانسانية بالذائد . واليونان رغم حضارتهم وبمدهم عن البربرية سرت إليهم المدوى ، ومشى فيهم هذا الروح . ولكن انهماكهم لم يكن انهماكاً بهيمياً . أقاموا الأعياد والأندية حيث تنطلق الطبيعة ويذهل الانسان متحداً بماطفته مع الوجود . ومن هذا الانهماك تولدت المأساة اليونانية . والمأساة اليونانية يرجع أصل نشأتها إلى فريق « الساتير » وهؤلاء عند اليونان هم أرواح من الطبيعة نجياً ، ولا ينسرب إليها الفناء ؛ تمشي بعيدة عن الحضارة ، وظهورها في شعب متحضر يقضى على حضارته ويقف بالحواجز التي تفصل الانسان عن الطبيعة . وهم يظهرون أن الطبيعة ثابتة قوية غصبة رغم تقلب الأمم وتبدل الشعوب . واليونان اعتقدوا أن هذا الفريق مخلوق طبيعي مجرد من كل براعة ، ولكنه ليس بهيمي . يتجلى فيه شيء من سمو الآلهى ، وهو رمز الفرزة الأكثر قوة وسيطرة على الانسان . هو سريع الهيام يذهله تقرب الآله منه . كثير الاشفاق والمطف لأنه يقاسم « ديونيزوس » آلامه . وهو يسالم حكمة الطبيعة . وهو رمز خصب الحياة التي يعيدها اليونان عبادة دينية . كان هذا الفريق يبدو في بدء نشأته وهو نشوان « بالسكر الآلهى » ويرقصه ، وموسيقاه تنادى روح الناظر في شبه ذهول عميق ، يحمو من نفسه ذكر الحضارة ، ويجرده عن ذاته حتى يرقه إلى مرتبته ، ويشركه في ذهوله وسكرته . حتى إذا وجبت القلوب واستسلمت النفوس بلوح وراء هذا الفريق خيال الآله

« ديونيزوس » وهذا السكر الآلهى قد ولد خيالاً شعرياً لم يكن في حقيقته إلا تمبيراً خاصاً عن حالة نفسية وانحمة ولدها هذا السكر الصوفى . فالمأساة اليونانية هي بحقيقتها موسيقية شعرية . وهي هتاف ظفر الارادة التي تشعر بخلودها ازاء تقلب الكائنات وتحولها . بطل كل مأساة هو الآله « ديونيزوس » ، وهي عاطفية لأنها نشأت لتكون أنشودة في مدح الآله . ثم تطورت المأساة لتكون أشد تأثيراً في الخيلة ، فأصبحت صورة رمزية لسحابات بلوح بينها الخيال الآلهى الذى يظهر على السكارى الهامعين في الودى ، السكارى بالآله . ولكن « ديونيزوس » لم يعد يظهر بشكله الآلهى . وإنما يظهر بهيئات الأبطال الذين يتمثل فيهم تحت قناع البطل « كيروموني » أو « أوديب » . و « ديونيزوس » هو البطل الحقيقى في كل مأساة ، يبدو بأشكال مختلفة . وهو في ظهوره هذا يشبه الانسان في حياته ، يتيه ويضل ، يناضل ويتألم . « ديونيزوس » هو هذا الآله المتألم الذى تكلمت عنه الأساطير . هذا الآله الذى يحس في نفسه بالآلام الفردية . هذا الآله الذى قالوا عنه إنهم جزأوه وهو صغير وعبدوه باسم الآله . « زاكروس » ومن ابتسامته تولدت الآلهة ، ومن دمعه نشأ الرجال

إن روح هذا الآله قد فتحت للعلم مجالاً عند اليونان . فهم بعد أن أطلقوا الأرواح من التشاؤم بتأملهم للجهال أو بشعورهم بخلود الارادة ، ذهبوا إلى طريقة ثالثة ، هي المعرفة العقلية للوجود وأجزائه . فجاء العلم حليفاً ثالثاً معهم يناضل التشاؤم . فبيما يقول الفنان للحياة « يليق بنا أن نحياك ، أيها الحياة ! لأن صورتك جميلة » يقول العالم لها « أنا أريدك أيها الحياة ! لأنك جديرة بأن تمرق . . . » وهكذا وجد العالم في اكتشافاته العلمية من اللذة والبهجة ما يجده الفنان في أوهامه وأخياته . وتآزرت هذه الأوهام كلها لتجمل وجه الحياة المشوه جيلاً . ويجب ألا نتجحد أن فضيلة العلم إنما هي تتمثل في البحث الدائم والتنقيب التواصل . لافى الحقائق التي يكتشفها . أو النتائج التي ييلنها . وخطبة العلم القطعى هي أنه لا يقف عند معرفته للوجود واقتناعه بما أدرك وتفهم من أحاجيه وإنما يشب إلى إصلاحه وإتمامه ، فتستمد حالته

فهذه الحضارة الأولى ولم يبق على شيء منها ، فعل ذلك وهو لا يشعر بأن السلام الذى هدمه هو أسوأ من العالم الذى راح يبنيه بمقله

هذا ملخص ما رأه نيتشه فى « المأساة اليونانية » وهو جد أسف على ذهاب ذلك الماضى النبيل . وقد لا يبتنى أن ننظر إلى مذهب « نيتشه » من حيث تعلقه بالتاريخ . فهو ليس فى الحقيقة إلا مذهبا يستخلصه من بعض نظراته المختلفة إلى أدب اليونان . وللعلم الحق وحده أن يتقبل هذه النظرات أو ياباها

يقول نيتشه عن شوبنهاور : « أنا بعيد جداً عن الاعتقاد بأننى فهمت شوبنهاور ، ولكنى مؤمن جد الإيمان بأن شوبنهاور قد أعاننى على تفهم نفسى » وحال نيتشه فى درسه المبكرية اليونانية قد تشا كل هذه الحال ، فهذه الدراسة قد كشفت عن تفكيره وأبانت عن منعاه فى الحياة . وهذه الإرادة التى يذرع بها (ديونيزوس) مجابهة أخطار الموت والشقاء والألم تنبع عن عاطفة عميقة من أسوأ عواطف « نيتشه » ؛ وهما كانت قيمة كتابه هذا فهو بعد هذا كله كتاب خالد يتلو علينا كيف شعر نيتشه بذاته حين درس براعة اليونان

(يتبع) هليل هندارى

الايضاح للخطيب القزويني

فى علوم البلاغة

وشرحه لهؤستاذ عبد المتعال الصعبرى

المدرس بكلية اللغة العربية

طبعته المطبعة المحمودية بالأزهر

وهو يعنى الطالب عن الرجوع إلى الحواشى والتقارير التى وضعت على الايضاح . وقد طبع منه الجزء الأول وثمته عشرة قروش ساغ على ورق جيد عال - وقريباً يصدر الجزء الثانى

ويطلب من المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الأزهر صندوق البريد رقم (٥٠٥) مصر

تليفون عمرة ٥٣٠٦٧

الأولى مادام يبحث وينقب ، ويشق فى الحالة الثانية مادام يطمع ويطمع إلى ما لا قبل له به . يمتد بساطة نفسه أن الوجود سهل فهمه بجملته وبأجزائه ، وأن رأس كل فضيلة هى المعرفة ، وأن الجهل هو مصدر كل بلاء ، وبالعلم وحده يستطيع أن يبلغ الانسان ما يشاء من أمهات الفضائل

جاء سقراط وهو أعظم مفكر يونانى جاحد للوحى ، يؤمن بأن العقل وحده يقوم مقام الغريزة والفطرة فى الحياة . والرجل العاقل له من عقله سلاح يدرأ عنه أخطاء الغريزة وضلال الفطرة . سلك سقراط طريقاً خالف به قومه واستطاع فى النهاية أن يقهر معاصريه بسمو منطقته ، وباختياره لمصرعه الذى لقيه . ترك الحياة هادئ النفس ، لا يعضه أسى ولا يقرعه ندم ، كأنما كان يثبت بهذا المصرع إيمانه فى الحياة إيماناً متفائلاً لا يتضعض ولا يترزعزع . هذا هو عقل سقراط الذى هزم « المأساة عند اليونان »

وحق لهذه المأساة أن تتلاشى أمام مجلس العقل ، لما يطفى عليها من تعاليم لا يجمع بينها قياس ولا منطق . يستند كل ما فيها من تأثير على الموسيقى . المأساة لا توحى شيئاً ولا توضح عن أية حقيقة نافمة ؛ وقد نجى قاحشة النزى ، أو ليس يبدو بعد هذا أنها تعمل على تحطيم أجمل النماذج التى تخلفها الانسانية . فإذا كان هنالك أواصر متينة بين العلم والفضيلة والسعادة الحقيقية - كما يريد العلم المتفائل - فإن النزى الفاجع يبدو بدعة خطيرة

ان سقراط لم يهدم فن المأساة وحده ، بل هدم كل البراعة اليونانية . كانت المثال الذى تجسد فيه العقل يوم كان اليونان يتبعون بأهوائهم شريعة الفطرة والغريزة . كانوا يريدون الحياة قوية جميلة ، وهو يريدونها منطقية ، تفقه نفسها بنفسها ؛ كان مظهر سقراط مظهر المزدري لروح عصره ، وهو وحده أعلن بين معاصريه أنه لا يدري شيئاً ، وأنه على حق فى خصامه معهم . يمرج على نوادى الشعراء والمفكرين والخطباء والمعلمين ، فيقول : إن هؤلاء الراقين بأنفسهم يفكرون ويجادلون بدافع الفطرة وحدها ، وهم لا يفقهون ما يصنعون . تراه خيماً توجه وأبناً انطلق لا يبصر إلا وهماً باطلاً ، وخطأ فاشلاً ، مما اضطره أن يعلن أنه مقدم على انشاء حضارة جديدة يديرها العقل وحده .

القصص

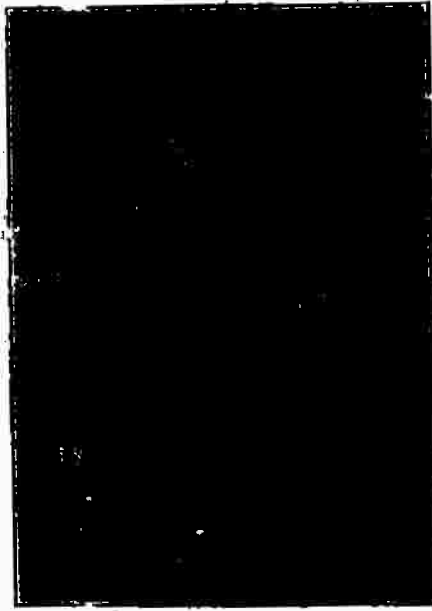
من اساطير الاغريق

بسيشيه وكيوييد

اروع قصص الحب في التاريخ القديم
للأستاذ دريني خشبة

لا يحب لها شئ من العباد المخلصين ؟ أم رضىك أن يتنازل
بى الآلهة كلها صارت بهم ، وهم كما تعلم مغيظون منى ، فيقولون
ها مذى فينوس التى هدمت كبرياءها امرأة ، وصرفت الناس عن
عبادتها عادة ؟ اذهب إذن فترى بها ، وأنفذ إلى أغوار قلبها
سهما يودى بها إلى هيدز ، وبش القرار ، وإنه لا ضير على أن
نهم بها أرواح الموتى ، أو يفتن بها بلوتو وملؤه
ومضى كيوييد إلى قصر الملك فى طريق حفت بالورد :

وعبقت . فيها
أرواح البنفسج ،
وتأرج النرجس
الغض ، واختلط
كل أولئك
بالقمرات الفضية
فرقت من غيظ
الآله الأصفر ،
وجملته يحس
الجنة التى يخطر
فيها ليقول فتاة
بريئة ، كل ذنبها
جمالها ، وأقصى



بسيشيه وكيوييد

ما ارتكبه من وزر أن بدت للناس فشغفوا بها ، وفنوا فيها ...
وكبر فى قلب كيوييد أن تنتهى هذه الجنة إلى جحيم تبع
بالجرعة ؛ وتفيض بالآلام ؛ تجلس تحت سوسنة نامية يتأمل ،
وكان ضوء القمر ينكس على الأزهار ثم يرتد عنها شعرا وسجرا
وموسيقى صامتة ؛ تنعزف ألحانها على أوتار قلبه الخفيا ؛
وسدح بلبل غررد فى هدأة الليل البغى ؛ فانغص الآله
الأصفر وحمل قوسه وسهامه ومضى . . . لا يابى به جمال الطبيعة

كان الليل الهادئ القمر أصنى من قلوب المذارى ؛ وكان
النسيم الطيل الحلو يرف كالأماني فى قلوب المحبين ؛ وكان البدر
الماشق السهم يرسل القبل فتنتطع على حدود الورد ،
وتلم أعواد الزنبق ، ثم تنتشر بالشذى فتطير أحلام المدنفين ؛
وكان كيوييد الصغير يمتد من الفيظ حين انطلق حاملا
سهامه ليقول بسيشيه ابنة الملك ، التى أهانت بجهاها كبرياء
أمه فينوس ؛

كان الناس يمدون ربة الجمال والحب حتى ترعرت بسيشيه
وتدقق ماء الشباب فى جسمها الزيان ، فهويت إليها نفوسهم ،
وخفت بجها قلوبهم ، وآروها بعبادتهم من دون فينوس ؛
وكان للفتاة أختان حسناوان ، ذواتا دل وفنون ، ولكنهما
كانتا مع ذلك دونها قسامة ولا نهائية ؛

أجل ، كانتا دونها لانهائية ، فلقد كانت العيون تفرق من
جمال بسيشيه فى لجة من الحسن الغامض مالها من قرار ؛
وكان غموض حسنها هو سر عبادة الناس لها ، وافتانهم بها ،
وانصرافهم إليها عن كل ربات الجمال ؛

ودعت إليها ابنة ربة الحب ، فاثارت فى قلبه المداوة لهذه
العادة وجسمت له ما يحجب به وبأه من انصراف الناس عن
عبادتهما إلى هذه الخلقة النعسة :

« أغير رضىك يا بني أن نكون من آلهة الأولمب نكبرتين

هوى وأقم قلبه صباة ، فتقدم نحو بسيشيه لهفان ، يتزود لأوبته
من جفنها النمان وجمالها الفينان
وطبع على الفم الدقيق قبلة دقيقة حلوة ، وعاد أدراجيه
عاشقاً وامقاً لا يبالى بسخط أمه فينوس !!

وانصدع عمود الليل ، وتنفس الصبح فهبت الأرواح
النائمة ، وأقبلت فينوس ربة الحب لتسمع إلى التاديبات النائمات
في قصر الملك بيد أنها ، بدلاً من ذلك ، رأت بسيشيه ،
بسيشيه بعينها ، ترحل في حدائق القصر ، وقد برزت عرائس
الماء من القدران الصافية تحيها وتغني لها ، وتضفر لها أفواف
الزهر !!

وحنت ربة الجمال والحب ، ونادت بالويل والثبور على ولها
كيوييد ، وأقسمت لتجعلن مباحج الحياة ووضاءتها ظلاماً في
عيني الفتاة !!

فسلطت عليها الأشباح تروعها وتفرعها ، وأغرقت بها
خفافيش سوداء جعلت تنوشها وتهاجمها ، وسخرت عليها ريح
السموم تلفحها وتصهر روحها ، فانطلقت المسكينة مذعورة إلى
داخل القصر ، وطفقت تصرخ وتقول ، ولا يدرى أحد لماذا
تصرخ ابنة الملك وتمول وازدحم حولها أبواها وإخوتها
والخدم والحشم ينظرون ويمجبون ولا يكادون يحبرون
ومضوا بها إلى المبد يستوحون الآلهة ، ولكنها ما كانت
تزداد إلا شكاةً وأشجاناً !!
وكرت الأيام

وانسربت بسيشيه إلى الجبل القريب المشرف على البحر ،
وفي نفسها أن تلقى بحمل الحياة من شاطئ ، فتستريح مما يطيف
بها من آلام !
ورآها كيوييد

وظلت هي ترقب الموج الهائج ، وتشهد اليم المصطخب ،
وتأق على البطاح نظرة مودع عجлан ، وعلى الروج الخضر بحية
مأخوذ القلب أسوان ؛ ثم صرخت صرخة هائلة ، وألقت
بنفسها من عل

وكان كيوييد كان قد أحس بما تمرمه حبيته من الانتحار ،
فدنا إليه صديقه ونجيه زفيروس ، إله الريح الجنوبية ، وأطاعه
على ما يكن من الحب : « لهذه الفتاة التي تكاد تلقى بنفسها من

الساحرة ، ولا يأسر لبه هذا البهاء الآلهي الذي يغمر السكون
حوله ، حتى كان عند أسوار القصر الملكي الراقدة في طوفان
زاخر من أزهار الشير والياسمين والبابونيا

وبرفتين من جناحيه الصغيرين كان في حديقة القصر
ها هو ذا يصعد على الدرج الرخامي ، متبخترا ، دون أن
يلحجه الحرس

وانقتل في غرفة بسيشيه النائمة ، واندس خاف الستائر
الحربية يوتر القوس الذهبية ، وينتق من كنانته سهماً تقطر
النية من سيشته ، ويرقص الموت على شبابه !
وتقدم نحو الفتاة

يا للجمال النائم فوق الأريكة ! ويا للفتنة المائعة ملء السرير !
لقد كانت متجردة كلها ! وكان نهدها البارز الثمر مجللاً
ببدلين ناصجين ، يتحلبان لذادة ويلهبان إغراء !!

ونامت هذه الذراع هنا ، واطمأنت تلك الذراع هناك ؛
كدتتان وإن كانتا كالرمي ؛ رخصتان وإن كانتا كتمثال معبود !!
وكان السحر يهيمهم فوق الساقين اللقوفتين ، ويهوهم من
تحتهما ، كأنه يرقبهما من نفسه ، أو ينفث فيهما من روحه
وبأسه

والزأس الصغير فوق الطنفسة الوردية ، مستسلماً لأحلام
الشباب الحلوة ، متلألئاً في شماعة من ضوء القمر سقطت عليه
من النافذة القريبة ، رسولاً من لدن ديانا (١) البارة ، أقبل
ليقول للآله الأصغر : « مكانك أيها الراي الحبيب ! ماذا جني
عليك هذا الحسن فتسله للردى ، وتجرعه كأس النون ؟ ! افتح
له ما انقلب من قلبك تنعم به ، فانك لن تجد في ربات الأولمب من
تخلص لك الحب كما يخلصه لك هذا المذهب البري »

وخطا كيوييد خطوتين ، وحلق في وجه بسيشيه
وهيره الجبين المشرق ، والهدب الناعم ، وأخذ الأسيل
وأخذ بلبه هذا الشعر المسجدي تفضض حواشيه أضواء القمر
فتريده بهاءً ورونقاً ، فألى لايهدرن هذا الجمال البارع ، واتنى
مسلوب اللب ، مشدوه القلب ، موزع الفكر ؛ وانزع السهم
فألقي به في كنانته وقبل أن يخرج يده الصغيرة الناعمة ،
شاء القدر أن يخذلها سهم ذهبي من سهام الحب ، ملأ كيوييد

(١) ديانا من ربة القمر ، ومن التي اكتشفت كيوييد ، فأرسلت
الشماعة فوق وجه الفتاة لاغاياها

الحسيرة وشدة العجب ما أخذ يتضاعف في كل خطوة وزداد ...
وحاولت أن ترى أحداً من لهم هذا الصوت الرقيق ...
ولكن عبثاً ... ليس هناك إلا أذرع من نود تتد إلى أعنفية
بها ، تقودها إلى المخدع الوثير الذي أعدته العناية لها ...

ودار الحديث بينها وبين طيف لا تراه :

- « ... ويدهشني أنكم تحفون بي . وتبالقون في إكرامى ،
وأنا لا أرى منكم أحداً ، فهل كلكم يلبس قلندوة هرمز ؟ ^(١) »
- « كلا أيها المزينة ؛ ولكننا أمرنا ألا نتكشف لك ... »
- « ومن ذا الذى أصدر إليكم هذا الأمر ؟ »
- « وهينا أيضاً عن ذكر اسمه ... »
- « أنتم كرام ، ولكنكم تضايقوننى إلى حد الازعاج ... »
- « ليفرخ روعك أيها المزينة ، ففى المساء ، تلقين الأمر
الكريم صاحب هذا القصر ، وصاحب القصور الكثيرة فى
أطراف الأرض »

- « وهل لى أن أجول جولة فى قصر كم التيف عسى أن
تذهب هذه الوحشة الجائعة على قلبى ... »
- « ولم لا ... بسيشيه المزينة ؟ »
- « بسيشيه ؟ ... ومن أنبا كم اسمى ؟ »
- « رب هذا القصر أيها المزينة ... »

وجالت الفتاة فى القصر الجميل المنسق ، وكان مشار عجبها
هذه الصور الباردة المرسومة على الجدران ، كلما وقفت عند واحدة
دبت فيها الحياة ، وتحركت على الحائط متلهلة مستبشرة ،
تحيية بايتسام خفيفة ، أو انحناء مؤدبة ... !!

وكانت التماثيل فى زوايا الغرف ، وأوساط الزدهات ، وفى
حنايا الحديقة ، وفوق الرنى المكسوة بالسندس الرطب ، تحبى
الضيئة ، كأن حياة تدب فى مرمرها كلما وقع بصر بسيشيه
عليها ، فتتحرك الأذرع ، وتوى الرؤوس ، وتغر الفتاة وقد أخذ
الدش من نفسها كل مأخذ ...

وكانت المنادى تهتف بها ترجوها أن تلبث فتستمع
أنشودة الخلد ، ولولا المجلة لوقفت بسيشيه عند كل حتى ينتهى
من غناؤه الخلو ، وتغريده الرنان

وعادت إلى المخدع مع مغيب الشمس

(لها بنينة)

دربنى ضربة

(١) قلندوة هرمز (طاية) الاخفاء

قنة الجبل يا صديقى زفيروس . فان رأيت أن تكون لك على
هذه اليد ، أذكركها لك أبد الدهر ، نغذ أهيك ، ولا تدعها
تفوس فى اليم ، بل تلقها فى يديك الرفيقتين ، واذهب بها إلى
الجزيرة المقابلة حيث الشاطئ المنصور بالرياحين ؛ فدعها ثمة ،
فقد أعددت لها مستراداً وملعباً ... »

ولشد ما دهشت بسيشيه إذ رأت طيفاً نورانياً كريماً يبرز
من الماء فجأة فيلتقطها فى يديه الكريمتين ، ثم يترقق بها
فيضعها على ظهره العريض الرطب ، كأنه أريكة من أرائك
الجنة التى وعِد التقون ، ويخوض بها اليم المضطرب فتمنوله
الأمواج ويسجد من تحته الشبح ، وبصير البحر فى لحظة كأنه
مرآة صافية لمساء ، كأنها صفحة السماء ...

ويصل إلى الشاطئ الزدهر فيسبم للفتاة ثم يحببها بتمتمه ،
وينطلق فى البحر الذى يعود إلى سابق اصطخابه واضطرابه ...
وتجلس بسيشيه على الكلا فتفرك عينها بما استولى عليها
من ذهول ، لترى هل هذا الذى فى حلم ، أم هى قد ماتت
فعلاً ولكنها دخلت الجنة !!

يبد أنها تذكر أن الأرواح فقط هى التى تنفذ إلى دار الموت ؛
وأنه ليس فى دار الموت شمس ولا إكليل ، وهى تتحس نفسها تترى
جسمها البض الجميل كما هو لم يتغير ، وهى ترى أيضاً إلى الشمس
مشرقة تضر بأراده البر والبحر ، وتنتشر إيامها فى الأكوان
جميعاً ...

إذن هى لم تمت ، وهذا الطيف الكريم الذى أنقذها من
الموت ، والذى ترفق لحملها إلى تلك الجزيرة هو رسول أحد
الآلهة ؛ وإذن فلتنهض ولتضرب فى هذا الفردوس المنزل حتى
يكون أمر غير هذا الأمر ...

ومضت فى غياض وأرباض ، ورأت فى الأفق القريب
قصرًا باذخًا ذا شرفات وأحياد ، نيمت إليه ، وما كادت تدنو
منه حتى فتحت بوابة السور الكبرى على مصراعها ، وامتدت
منها أذرع نورانية تصالحها ، وانبرت أصوات رقيقة موسيقية
تحتق بها وتحتبى وتبشئ ! ...

وفركت بسيشيه عينها كذلك :

وظانت أنها تحلم ، ولكن كل شئ حولها حدثها أنها ترى رؤية
حقيقية ، لا رؤيا منامية ... فدخلت القصر ، وفى نفسها من

اقصصة عراقية :

بدای الفایز

للأستاذ محمود . ا . السيد

- ١ -

كان اليوم العاشر من شهر مايو ...

كان الفرات قائضاً توشك أمواجه الطاغية أن تجرف السدود القائمة على ضفتيه . وكان الفلاحون من أبناء القبائل المختلفة ، في منطقة خضراء بين ذى الكفل والكوفة - كأمثالهم في مناطق الفرات الأخرى - ساهرين عليها ، مقيمين حولها ليلاً ونهاراً وجيلاً ، يخيفهم الخطر الجاثم حيالهم منذ شهر ، وقد اشتد بعد أن كان ضعيفاً مبهماً

وكان الصبح ...

وكان النسيم يهب بليلاً فينمش هؤلاء الساكنين ، ويحيي فيهم عنصر النشاط الذي كانوا في أشد الحاجة إليه ؛ فقد أنهكهم التعب ، وآذاهم الجهد الذي بذلوا مذ طغى الماء ، وهم يصارعونه ليحولوا بينه وبين زرعهم - مع أنه جزء قليل من زرع الرؤساء المالكين - وماشيئهم ؛ وهالهم قوام الحياة

وكانت سنابل القمح المنتشرة الكثيفة في الحقول على مقربة من بيوتهم - وهي من القصب البالي والحصر وجريد النخل - ومن النهر ، مصفرة ناشجة تبهج الناظرين . وكان وقت حصادها جد قريب وحان الضحى ؛ فانت ساعة العمل لتقوية السدود وتمكينها فانتشرت جموعهم كالنمل تحمل إلى المواقع الواهنة منها التراب من أطرافها ، ثم تعود لتحمل إليها التراب كذلك والحطب والقصب والحُصُرَ والمَمَدَ والجال وما إليها ؛ ثم تعود مرة أخرى ، فأخرى ، يسوقها المهندسون والرؤساء المالكون في غير مالين ولا إقبال

وحان الظهر ؛ فاستراحوا قليلاً ثم عادوا يعملون

وتغير الطقس ، آنثذ ، تغيراً مفاجئاً - ومثل هذا التغير مألوف ومعتاد في العراق - غجبت وجه الشمس عاصفة شديدة أثارَت الموج في النهر ، وعظم بها الخطر ، لأن السدود قد كانت احتملت من جريان المياه الطاغية وتيارها القوى أكثر مما تطيق

احتماله ، فكيف بها الآن وقد أخذ الموج يبلطمها فيونها ويكاد يهدمها تهدماً

وكان الخطر أعظم ما يكون في الضفة اليسرى من النهر ، لأن أهلها كانوا أقل عدداً من جيرانهم أهل الضفة اليمنى ، وأرضهم أوطأ من أرضهم ، وسدودهم أضعف من سدودهم

وكان الرؤساء جميعاً ، هنا وهناك ، مع وفرة غنائم ، وامتلاكهم الدور والأحراز والأرضين دون الفلاحين ، أحرص منهم على حفظ السدود لحفظ الزروع . فداروا حولهم يشجعونهم ويضربون المقصّر المتخلف منهم عن حبه بالمصى والسياط ونحن الآن في الضفة اليمنى

حان الأصيل ، وبدأت قصتنا ؛ فوقف فتى طويل القامة ، مفتول الساعدين ، آدم اللون ، يدعونه « بدای الفایز » ويتميز بنخجر مفضض لا يفارق حزامه ، أمام رئيس من رؤساء القبيلة التي ينتمي إليها ، معتدلاً يعلوه الشمع ، وتهز كيانه بنحو الأعراب ؛ وقد أصابته منه ضربة عصا كما أصابت غيره ضربات ، وسواء أ كان لتلك الضربة سبب من تقصير في العمل أم لم يكن ، فإن (بدای) الذي كان شاذاً في قبيلته في بعض خلاله ، قوى الشكيمة ، عزيز النفس ، معتزلاً بقوة جسمه ، لم يحتملها ؛ فوقف ينفهم متظلماً في شبه ثورة وعصيان

وبهت الرئيس ، ففطر إليه مستغرباً مستكراً : مستغرباً شمه ونحوته وقد حسبهما طيشاً ونزقاً وخزوانة عبد ، وحمله خنجره المفضض حتى في ساع العمل المسير ، مستكراً نظلمه ، وكيف لم يحتمل منه ما احتمل الآخرون أذلة خاضعين

وأقبل عليه يريد أن يضربه مرة ثانية ؛ ثم انثنى عنه في لحظة فأنشأ يرميه بما هو عند القبائل شر من ضرب المصى وأنكى ، قال يُسمّره :

- « ويلك يا جبان ! هل يرفع أنفك فيميزك عن اخوتك الطائمين هؤلاء خنجرك المفضض هذا ! ؟ ولأى يوم كريمة تحمل هذا الخنجر وتلك البندقية التي تعلقها بالمدرة ؟ وأين كان هذا السلاح يوم قتل جَسَامَ أخاك عباس ؟ ولماذا لم تتأمله به حتى الآن أيها الجبان اللذيل ! ؟ »

وإذ نطق باسم « جسام » شدّد « السين » تشديداً غريباً ومد « ألفه » وهو يشير بمصاه إشارة ذات معنى إلى ضفة النهر القابلة ؛ ثم إذ أتم كلته ابتسم ساخراً منها كما وتولى ، وهو مدرك أبة طعنة نجلاء طعن القتي

بما يلي مضرب الحرس ملها بكوفيته ، متلفعا بعباءة السوداء ؛ مصمما على قتله

وكان موقع الحارس جسام قريبا من الحديقة ؛ وكان خصمه يتبينه ؛ وكان يمرره مستدلا عليه بصوته الذي كان يرتفع بين دقائق ودقائق إذ ينادى صجبه نداء الحذر والانتباه

وكان ينظر إليه وهو واقف في الظلام ، ظلام الحديقة الذي كان يستمر كالخزير الحائق على الصياد ؛ ويقول بصوت خافت ؛ وكأنه يتوعدده :

« اصبر لي قليلا يا ابن الكلب . . . »

ثم حشا بندقيته ؛ وقد اشتدت ضربات قلبه ؛ وبدت على وجهه سياء الانسان الوحشي القديم ؛ وثني ركبتيه وأطال النظر في عدوه ليسدد الرمي ؛ وكاد يطلق رصاصاته الخس التي أعدها لقتله ، لولا أن رأى بجانبه حارسا آخر أقبل عليه مسرعا . فكان على بداي لقتل واحد منهما أن يقتل الاثنين معا ، وهذا ما لم يكن يريد ؛ لأن ثأره على تلك الصورة يخلق له مشكلة يصعب عليه التخلص منها ، فقد يشتر له ذوو جسام وأبناء قبيلته قتله لأنه قاتل أخيه ، ولكنهم لا ينتفرون له قتل الثاني ؛ ولا بد لهم من قتله بعدئذ ليثأروا به منه

وتعلمته الحيرة فلم يدر ماذا يفعل

ثم بدا له أن يتوقع عودة القادم ، لينفرد بفريسته ، وبينما هو في موقفه هذا ، ارتفعت من جانب بعيد غلوة صيحة حارس يستغيث

لقد حم الأمر ؛ وتفجرت المياه من ثمة حدثت في السد المصائب ، ومضى الحرس وفي طليعهم جسام ، يمدون مستبقين لسد الثمة ، فلم يتمكنوا من ذلك ، ولم يكن دفع المياه التدفقة المتحدرة تحدر السيل من أطالي الجبال مستطاعا

واستيقظ أبناء القبيلة فرّوا عنهم الحادث ، وشعروا بوقوع الكارثة ، فأضاعوا ارشدهم ، كما أضاعوا من قبل جهودهم كلها في الزرع وفي إقامة السدود . وحاولوا كفاح المياه العرمة فحاولوا عبثا ، وراموا مستحيلا

وما كانت أمامهم إلا الحرب ، فكان النساء يولولن ، والأطفال في خوف ورعب يتصارخون . وكان جسام ذا أسرة تتألف من زوج ، وثلاثة أطفال ، وأم عجوز ، وأخت . وكان الرجل آخر هارعا إلى أمه وإلى أطفاله لينقذهم من الفرق ، وقد خسر مع الحارسين نصيبه في الزرع ، ونسي بقرته وغنمه ؛ وعلى

وسمع بداي هذه الكلمة الطاعنة أمام الجمهور الحاشد من الفلاحين الذين كان يرّام دونه شمعا وإباء للضم وغنوة ، وهو في أسوأ حال من الاضطراب النفسي والفيظ ، وعرض على شفته إذ أخذته (المرة) ؛ فصاح صيحة كاد ينفطر لها فؤاده :

« اخمأ ! أنا أخو خمسة ! ولا تنقم ! ولا دفن ! عني عاري ! » وترك العمل وهو حائق غضبان . وشعر بأن حياته أنجحت عبثا ثقلا عليه . و « النار ولا العار ! » وهل يهمه بعد الزرع وغير الزرع ؟ « لقد قتل جسام من أبناء القبيلة المجاورة أخاه عباسا ، في نزاع على دين قديم ، منذ عهد قريب ، وتلكا عن أداء دينه . هذا ما كان يملّه ؛ ولكنه لم يكن راضيا بالمار الذي خلغ عليه هذا الحادث منه جلبابا أسود ضاقيا . لم يكن ساكتا عن حقه ، والثأر في القبائل كالديّة ، حق . على أنه لم يردأ من التريث حتى تنجلي هذه المصيبة التي حلت بالقبائل الفراتية كافة : مصيبة الفيضان . فكان من المروءة تركه وشأنه ؛ أما وقد سبق السيف المذل ؛ فمسير أنام الناس ، فلا كانت الحياة إن لم يثأر وينتقم . . . »

هذا ما فكر فيه في دقائق مسرعة كالثواني ، ونفض عباءته ليزيل ما علق بها من تراب حين العمل ، ثم تناول بندقيته غير ملتفت وراءه ، وتوارى عن الأنظار

— ٢ —

ونحن الآن في الضفة اليسرى

أقبل الليل ؛ وانقلب الفلاحون إلى بيوتهم ، وهم يتوقعون الخطر الجاثم حيالهم ، يتوقعون أن تتدفق المياه عليهم في هذه الليلة ان لم تنقص قليلا ، وبقيت الريح العاصفة على شدتها تثير أمواجها فتوهن السدود . وكان الأعياء آخذاً منهم مأخذهم فرقدوا متوكلين على الله ؛ الا الحرس منهم الذين أقاموا على السدود ، فكانوا متحفزين للعمل ، يروحون ويحيثون كأشباح الجن ؛ بلفهم نوز القمر الضئيل الذي حجب سطوعه الريح الذارية وما كانت محمله للقوم من غبار كثيف

وكان جسام القاتل واحداً من هؤلاء الحرس وكان وهو في جماعته ، مطمئنا غافلا ، لا يدري أن بداي قد أقسم لينتقم لشرفه في تلك الليلة ؛ لا يدري أنه جاء دائرة القوم خلصة وقد عبر القرات على زورق من زوارق الصيد صغير ، بمد لأي وجهه كبير ؛ وأنه كان . وقد مضى المزيع الأول من الليل - يكن له وراء نخلة في طرف حديقة مجاورة لبيوت القبيلة

هذه البقرة والغنم تقوم حياتهم بعد الزرع ...
وأدركت الرحمة الطيبة حينئذ، فسكنت الريح، وانفتح
الغبار، فهذا القمر النير زاهياً متلألئاً يطل على هذه الفاجعة في
قسوة وجود

— ٣ —

وبعد ساعة أو أقل كانت الثلثة متسمة، تنصب منها في
السهل الكائن وراءها حيث البيوت ثم الحقول، مئات الألوف
من الأمتار المكعبة من الماء. وكان بداي يشهد هذه الفاجعة
التي جُمعت بها القبيلة في دهش وتألم. وكانت نفسه ساكنة هادئة
بعد أن أفلتت فريسته منه، وأحس شيئاً يتمزق في جوفه. ثم
استيقظ في نفسه شعور غريب جديد، هو غير الشعور بالضراوة
والرغبة في الانتقام والثأر؛ وذهل عما جاء من أجله؛ فاقرب
من بيوت القوم قليلاً، فرأى - بما رأى - أطفال جسام الثلاثة
في صراخهم وعويلهم، والأب يحمل منهم الاثنين الكبيرين
وكافاً في الرابعة والخامسة، نحيفين واهنين من مرض أو جوع،
وزوجه تحمل بعض اللثام وتقتاد البقرة، وأخته تريد أن تحمل
أبها المجوز، والطفل الثالث، وهو في الثالثة من العمر ما يزال
على الأرض متشبهاً بأذيال أمه يرتجف ويهول باكياً، والأم ذاهلة
نحني فتتناوله لتحمله فوق اللثام، فيفلت منها زمام البقرة؛ ثم
يذكر الأب، وهو دهش يحمل طفليه، غنمه فيذهب إليها حيث
كانت في زريبة مجاورة ليسوقها أمامه ... وأبناء القبيلة كل
منهم مشغول بيلائه، وقد اختلط الحابل بالنابل؛ فكانوا في مثل
يوم المحشر الموعود

وكانت الكلاب تنبح شاعرة بالخطر نباحاً صاخباً بلا الجلو
وحينئذ كان بداي يحكم لثامه شداً، ويتنكب بنذمة،
ويشمر عن ساعديه؛ ويبادر لنجدة هذه الأسرة وعونها. وأقبل
على الأم الذاهلة فتناول منها طفلاً تخفف عنها حملها الثقيل. وحسبه
جسام، وقد حانت منه التفاتة إليه في الزحام، واحداً من أبناء
عمه، فخاطبه مرشداً ومضجماً:

— « دونك السد »

وكان السد الممتد على طول النهر والمؤدي إلى قرية قريبة،
الطريق الوحيد الذي لجأ إليه القوم طلباً للنجاة من الفرق لقربه
من بيوتهم وارتفاعه عن السهل المنبسط الذي أخذ الماء يغمره
شيئاً فشيئاً ...

وإذ تخلصت زوج جسام من وليدها، واطمأنت لنجاته،
استطاعت سحب البقرة وراءها واستنقاذ ما حملت على ظهرها
من متاع البيت. وحملت أخته أبها المجوز. وبلغوا بخوضون
الماء التدفق خوفاً، معه، وهو حامل طفليه. واستمدوا ليمشوا
وراء قافلة القبيلة التي رحلت من مستقرها وقد مسها ضرر اليم.
وأقبل أثرهم الرجل اللثم حاملاً الطفل الصغير فأنزله إلى الأرض،
واقرب حتى قابل جساماً غفل عنه لثامه، ونظر إليه، في ضوء
القمر، محلفاً كأنه يقول له:

— « هلا عرفتي؟ فأنا خصيمك طالب ثأر عباس؟ »

ولبثا دقيقة بنظر الواحد منهما إلى الآخر، وقد أوشكت
أن تشور فهما نوازح الرغبة في الاقتتال، هذا ليدافع، وهذا
ليثأر وينتقم
ونحني جسام طفليه عنه في تأن وحذر، ومد يده إلى خنجره
بيد أن بداي أخلف ظننه فما زاد على أن هز رأسه، وقال
له بصوت أجنى:

« اذهب الآن ... مع السلامة ... خلعت ... ولكن
لا تنس أن لك ساعة أخرى ! »

وانكفأ إلى زورقه مسرعاً، تاركاً نأره^(١) وزوجه التي
انتهبت إليه آخر الأمر، في خيرة واستغراب

وآب بداي الفار إلى قبيلته ساكناً هادئاً، غفوراً بالفعلة التي
لم يفعل مثلها أحد قبله، إذ أجد أسرة حين لم يكن له من إنجازها
بد، واستحياً لأجلها، ولو إلى حين، نفساً ما كان لها إلا
أن تموت

— ٤ —

ومر عام على هذا الحادث. فعادت قبيلة جسام إلى أرضها
الأولى، بعد أن زال عنها الماء الذي غمرها أشهراً؛ وأنشأت لها
سداً جديداً على ساحلها؛ فجاءها رسل من القبيلة الثانية يسعون
بين بداي وجسام بالصلح، ويحملون دية القتيل مالاً وامرأة،
وهي أخت القاتل، فتزوجها بداي زواج « الفصل » على سنة
القبائل الموروثة وتقاليدها

ولم يعد أحد يجرؤ، بعد ذلك، أن يعير الفتى بأنه نام عن نأره
نوم الجبان الذليل

(المراق — الأعظمية) محمود . أ . السيد

(١) نأر الرجل: قاتل قربه

البريد الأدبي

تبسيط اللغة الانكليزية واهتمام الانكليز بفنرها

أزمة الديمقراطية

يبدى الانكليز في الوقت الحاضر اهتماماً خاصاً بفنر اللغة الانكليزية ، ويحاولون بمختلف الوسائل أن يجعلوها لغة دولية عامة ، كاللغة الفرنسية في الشؤون والمعاملات الدولية والتجارية ؛ ويرجع هذا الاهتمام إلى ما بعد الحرب الكبرى إذ اتسع نطاق الامبراطورية البريطانية اتساعاً عظيماً ، وضمت إليها شعوب وأمم جديدة ، وزاد نفوذ انكثرا الدول تبعاً لذلك ، واتسع نطاق تجارتها اتساعاً عظيماً . والانكليز أقل الأمم اهتماماً بدرس اللغات الأجنبية ، وقد حاولوا أن يتلافوا هذا النقص بفرض لغتهم على الشعوب التي تنضوى تحت لوائهم ، ولكنهم يرغبون اليوم في التقدم خطوة أخرى ، وذلك بالعمل لجعل اللغة الانكليزية لغة دولية اختيارية . وقد رأوا أن أجمع وسيلة لتحقيق هذه الغاية هو تبسيط اللغة الانكليزية إلى أبسط حد ، وانتهوا فعلاً إلى عمل هذه التجربة ، فقام الأستاذ أجدن أحد أعضاء المعهد اللغوى بجامعة كامبردج باختيار الألفاظ الانكليزية التي تعبر عن أكبر عدد من المعاني المطلوبة ، وانتهى إلى حصرها في ٨٥٠ كلمة تكون وحدها لغة انكليزية جامعة وافية بالتعبير عن كل ما يرغب ، ويكفى لدرسها وحفظها ثلاثون ساعة ، وليس فيها أى تضارب ولا تعقيد ، وليس فيها من الأفعال سوى ١٨ فعلاً ، وقد سميت هذه اللغة « بالانكليزية الأساسية » . ويماق الانكليز على هذا التبسيط الدهش للغة تبلغ كلماتها عشرين ألفاً عملاً كبيرة ، وتنوء الصحف العلمية بهذه المناسبة بأن أحب الكتاب الانكليز إلى الشعب الانكليزي هم أبسطهم لغة وبياناً مثل سويفت وبرنارد شو ، ومن ينحو نحوها في التعبير الجزل البسيط الذي لا يتخلله حشو ولا ترادف ولا تعقيد

تشغل أزمة الديمقراطية أذهان الساسة والكتاب الأحرار ، وقد صدرت في موضوعها في الآونة الأخيرة مؤلفات عديدة ولا سيما مذ توت عصبة هتلر الحكم في ألمانيا وسحقت كل أنواع الحقوق والحريات العامة ؛ ومنذ أسابيع قلائل ظهر كتاب جديد في الموضوع بقلم مسيو دي روفيرا الكاتب والسياسي الاسباني عنوانه « تجربة سياسية » Un Essai Politique ومن رأى هذا الكاتب أن الديمقراطية تحتاز أزمة الموت ، بيد أنه من المستحيل أن يظفر المؤرخ أو السياسي المعاصر بجرائم الداء التي تنخر أسس الديمقراطية ؛ وأكبر الظن أن مؤرخ القرن الثاني والعشرين أو الثالث والعشرين سيكون أقدر منا على تفهم الصلات والحوادث التي تربط الثورة الفرنسية بالحركات الثورية الجديدة مثل الشيوعية والفاشية ، وأقدر منا على تفهم المراحل التي جازتها المبادئ الثورية السياسية حتى انتهت إلى نواحيها الاجتماعية ؛ وقد يرون أن تحول العالم القديم إلى العالم الجديد قد استهدف سلسلة من النزعات والعوامل المضطربة . ثم يقول مسيو روفيرا : إننا نشعر الآن في جميع أوربا بضرورة الإرادة العاملة ؛ ولنا أن نسميها « سلطة » أو « طغياناً » فاز المهم هو أننا نريد أن نعمل . ويجب علينا ألا نحكم على آرائنا بالبله والعجز لأنهم لم يبتوا في المسائل بشئ . والواقع أنه يجب أن نعتبر خاتمة القرن التاسع عشر وفاتحة القرن العشرين مرحلة الهدم بالنسبة للعالم القديم ، ومرحلة التجارب الهائلة ؛ وليس ثمة ما يدهش إذ نرى ما نرى من ذلك الاضطراب الهائل الذي يسود شؤون العالم اليوم . وقد أثارت ملاحظات المسيو دي روفيرا كثيراً من الاهتمام والجدل لأنها تتعلق بمسألة تعتبر مسألة العصر ، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً

رسائل جريدة لشارلس دكنز

صدر في لندن مجلد من رسائل جديدة لشارلس دكنز الكاتب الانكليزي الفكه ، محتويًا على جميع الرسائل التي كتبها دكنز لزوجته كارين هوجارت من سنة ١٨٣٥ إلى سنة ١٨٦٧ وكانت مدام دكنز قد أوصت بهذه الرسائل لبنتها ، وأودعتها ابنتها الثانية كات بيروجيني بالتحف البريطاني وأوصت بأن تبقى في طي الكتمان بعيدة عن النشر والإذاعة حتى تموت هي ، والسير هنري فلديج دكنز آخر من بقي على قيد الحياة من نسل الكاتب الشهير . وقد عمل التحف البريطاني بهذه الوصية ولم يسمح بإذاعة الرسائل حتى تحقق شرط الانقراض . وليس في هذه الرسائل جديد مما لم يعرف عن حياة دكنز ، ولكنها تاق ضياء جديدًا على ما كان بينه وبين زوجة من الخلاف وما كان بينهما من أسباب النفرة والاحتكاك مذ عرفها باسم كارين هوجارت . والرسائل الجديدة على وجه العموم صورة حية من خواص دكنز ومواهبه الكتابية ، وهي تسبع على الحوادث والمسائل التي تناوَلها حياة جديدة لم تتوفر في أية ترجمة من التراجم التي تناوَلت حياة الكاتب الكبير ، وفيها يبدو دكنز في ذروة براعته المعروفة في التصوير الفكه المبكى معاً . وقد تلقى الجمهور الانكليزي الرسائل الجديدة لهذا الكاتب المحبوب بلهفة واشتياق . والذين قرأوا من أبناء العربية شيئًا من قصص دكنز ولا سيما قصته الخالدة « دافيد كوبر فيلد » أو « فادي بكويك » أو « نيكوكس نيكلباي » أو غيرها يذكرون كيف يستطيع هذا الكاتب البدع أن يصور حياة البؤس والتشريد في صور بسيطة مبكية معاً ، وكيف يستطيع أن يهز أوتار القلوب بعرضه المؤثر وبيان الخلاب

وليم كوبيت

تحتفل الدوائر الأدبية الانكليزية بذكرى كاتب مازالت كتابته تطبع أذهان النشء الانكليزي بطابع قوى : ذلك هو وليم كوبيت الذي توفي منذ مائة عام . وقد ولد كوبيت سنة ١٧٦٢ في فرنهام من أعمال سوري ، في أسرة ريفية فقيرة ، وقضى حياته في فلاحه الأرض ، ثم تقلب في من صغيرة مختلفة ،

فاشتغل كاتبًا وجنديًا ، ولما ترك الجندية سافر إلى أمريكا وقضى بها ردها من الزمن ثم عاد إلى انكلترا ؛ واشتغل أثناء ذلك بالصحافة آتًا وبالزراعة آتًا آخر ، واتي في حياته العملية صوابًا جة نظرًا لما ناوله رجال الحكم ؛ واستقر في انكلترا منذ سنة ١٨٠٠ وأخذ يعالج الصحافة السياسية أولاً إلى جانب حزب الأحرار ، ثم إلى جانب المحافظين ؛ وكانت صرامته وعنفه وشدة حملاته تثير عليه السخط في الجانبين ، ولكنه مع ذلك كان يبدى براعة ظاهرة في حملاته ، وكان مرهوب القلم . وفي سنة ١٨١٧ سافر إلى أمريكا مرة أخرى ومكث بها عامين ثم عاد إلى انكلترا ؛ ورشح نفسه للانتخاب النيابي فسقط لأول مرة ، ثم عاود الكرة بعد ذلك ونجح في الانتخاب كنائب عن أولدهام . بيد أنه لم يبد في مجلس العموم مقدرة خطافية . ولم يلبث أن توفي بعد ثلاثة أعوام ، في يونيو سنة ١٨٣٥ .

وقد كان كوبيت من أعظم النقطة في عصره ، وكان كاتبًا وصفيًا لا يجاري ، وكان يملك زمام البيان بقوة مدهشة ؛ وكان أشد تأثيره في شباب عصره ؛ وأشهر مؤلفاته « زهات ريفية » و « نصيحة إلى الشبان والشابات » وهو من خير ما كتب وخير ما ظهر في عصره ؛ ثم رسائله السياسية الأسبوعية وهي تملأ مجلدات كثيرة

التركى المولود لمرام محمد جبره

أقامت رابطة الشباب الأدبية في الساعة السادسة من مساء الخميس الماضي بالدار الجديدة لجمعية الشبان المسلمين احتفالاً زائماً بذكرى مرور ثلاثين عاماً على وفاة المصلح الكبير الامام محمد عبده ، شهد صفوة من رجال العلم وجمهرة من شباب الأمة ، وتكلم فيه الأستاذ عبد الوهاب النجار عن حياة الامام ، والأستاذ مصطفى عبد الرازق عن الامام في الأزهر ، والدكتور محمد حسين هيكل عن الامام في الصحافة ، والأستاذ عبد الله عفيفي عن دفاع الامام عن الاسلام ، والأستاذ الهلباوى بك عن الامام في القضاء ؛ وكادت هذه الخطب الممتعة تؤلف للامام ترجمة وافية لولا أن ضيق الوقت أجعل الأستاذين النجار والهلباوى من لم الموضوع واستيفاء البحث



١ - فتح العرب لمصر : للدكتور بنظر

ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد

٢ - فنونه الطمهي الحديث

لمؤلفيه السيدين أبي زيد أمين وطانيان سعيد

للأستاذ محمد بك كرد علي

من الكتب كتاب واحد يعني عن عشرة ، وقلم أغني قط كتاب عن كتاب . وهذا الكتاب في فتح العرب مصر يدخل في باب ما لا يستغنى عنه من الكتب لفائدته وطرافته . صرف مؤلفه في وضعه وقتاً طويلاً يدرس ويبحث ، ثم يستقرى ويستنتج ، فجاء كتابه نائماً من كل وجه ، حرياً بأن يتعلم بعض من يؤلفون بالعربية أصول التأليف النفع بال نظر إلى هذا الكتاب وكيف يدرس الغريون أبحاثهم ليفيدوا العلم ويأتوا بالنتائج من صفحاته

استعان المؤلف في تأليفه بشذرات قليلة مما كتبه الروم ومؤرخ الكنيسة القبطية ، وما كتبه أمم أورخين من العرب والانجليز والفرنسيين والألمان ، وما عثر عليه من أوراق البردي في أرجاء مصر ، وما كشف من عاداتها القديمة ، ورجع إلى عالم عصره الشيخ محمد عبده فأعطاه بعض قطع اختارها أو كتبها ، وكانت خاصة بالفتح ، وساعده غير واحد من أعلام مصر في قراءة جمل من القبطية وغيرها فجلا تاريخ هذه الحقبة بأجل أسلوب عصري ، صور لك ما وقع من حوادث الفتح العربي كأنك تشهدها قال : « ولعل القاري يستطيع من مطالعة الملاحق التي ألفتها في آخر الكتاب أن يتبين شيئاً من مقدار ما هنالك من خلط في التاريخ ، ومقدار ما عانيناه من الشقة في ابتداء طريقة لضبط تواريخ الفتح الفارسي والفتح العربي ، فالظاهر أن مؤرخي العرب لا يعرفون شيئاً عن نيودور القائد الأعلى لجيوش الروم ، فهم يخلطونه ببعض أصاغر القواد ، وهم كذلك يخلطون بين قيس

(المقوس) وبنيامين ، وبين فتح قطر مصر وفتح مدينة مصر ، وفتح الاسكندرية ، ولا يميزون بين فتح الاسكندرية الأول الذي كان صلحاً وبين فتحها الثاني الذي كان عنوة ، وكانوا يذهبون إلى أن القبط قد ساعدوا العرب ورحبوا بهم . وقد ظلم التاريخ القبط في ذلك ظلماً فاحشاً على نحو ما ظلم العرب ظلماً كثيراً بنسبة حريق خزانة كتب الاسكندرية إليهم » قال : وما كان لنا إلا قصد واحد وهو أن نصل إلى الحق ، وقال إنه ممن يحمل لكل من الشمين العربي والقبطي أ كبر الاعجاب

ومن براهينه في تبرة العرب من حريق خزانة الاسكندرية أن هذه القصة لم تظهر إلا بعد نيف وخمسةائة عام من وقت الحادثة وقد خص هذه الحكاية وحللها (شان عشرات من علماء الشرقيات) فألفها كما رأوها سخافات مستبعدة ينكرها العقل ، وقال إن الرجل الذي ذكر أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزو العرب بزمان طويل ، وإن القصة قد تشير إلى واحدة من خزانتي : الأولى خزانة النصف ، وقد حرق في حريق قيسر ، وإذا لم تنلف كلها كان ضياعها فيما بعد في وقت لا يقل عن أربعائة عام قبل فتح العرب . وأما الثانية وهي خزانة السرايوم اما أن تكون تلفت قبل عام ٣٩١ ، وإما أن تكون قد ضاعت ، وطى كل فقد ضاعت أخبارها قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن ، ولو كانت هذه الخزانة إاقية عند ما عقد قبرس صلحه مع العرب على تسليم الاسكندرية لنقلت الكتب ، وقد أبيح ذلك في شروط الصلح الذي يسمح بنقل المتاع والأموال في مدة الهدنة وقدرها أحد عشر شهراً ، وإن كتاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئاً عن وجود الخزانة ، وكذلك كتاب أوائل القرن السابع ، وإنه لو صبح أن هذه الخزانة قد نقلت أو لو كان العرب قد ألتفوها حقيقة لما أغفل ذلك كاتب من أهل العلم وهو يوحنا النقيوسي ، وكان قريب المهد من الفتح ، ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفاً الخ

وقال المؤلف في الحاشية إنه لم يقصد سوى اثبات الحقيقة ،

وما قصده الدفاع عن العرب ، وليس الدفاع بضروري ، ولو كان ضرورياً لما تمذّر أن نجد شيئاً يليق الاعتذار به عن ذلك ، ولا شك أن العرب عُنوا فيما بعد بجمع كثير من الكتب القديمة وغيرها مما وقع في أيديهم ، وعُنوا بحفظها ، ورجعوا منها في كثير من الأحوال . قال : وفي الحق أنهم أقاموا مثلاً يجدر بفانحي هذه الأيام أن يحذوا حذوه ، فقد نقل سيديليو في تاريخ العرب العام أن الفرنسيين عند ما فتحوا مدينة قسنطينة في شمال أفريقيا أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم « كما هم من صميم الجمع » ؛ ووجد الأبنجليز عند فتح مدينة مجدة خزانة كبرى من الكتب الجلدية غملوها معهم ، ولكنهم لم يلبثوا أن تركوا أكثرها في كنيسة على جانب الطريق إذ وجدوا في حملها عناء . وقيمة الكتب التي نجت وحفظت تدل على فداحة الخسارة التي لحقت العلم بضائع ما ترك منها .

بهذا الانصاف ، وهذه العناية ، وهذا الجهد ، ألف المؤرخ الانجائزي تاريخ الفتح العربي في مصر ، فرسم صورة جميلة ، وكان اعجاب به بمرو بن العاص لا يقل عن اعجابنا بمعاشير العرب به وبأمثاله من الصحابة الفاتحين . وعناية المترجم الفاضل شديدة بتجويد ترجمته على صوابها لما حوت من النقول العربية وغيرها من اللغات ليرد الوثائق إلى أصلها ؛ وقد وقع له تحريف في بعض الأعلام ، ومنها ترجمته اذاسا (Edesse) ، وهي الرها وأطلق عليها الترك « أورفه » ؛ ومنها « اقيسوس » وهي « إفسس » مدينة في آسيا الصغرى أطلالها قرب أزمير اليوم ؛ ومنها « برغاموس » وهي « فرغاموس » ، وفي قاموس الجغرافية القديمة للعلامة أحمد زكي باشا أن فرغاس هو الاسم الوارد في كتب العرب للدلالة على مملكة قديمة بآسيا الصغرى اسمها عند الأفرنج (Pergame) ، ومنه اشتقوا الكلمة التي يطلقونها على الرق (بفتح الراء) أي الجلود المستعملة للكتابة ، لأنها أول ما صنعت بهذه المملكة ، فيقول الطليانيون (Pergamina) والفرنساويون (Parchemin) الخ . وقال مدينة « يبرويه » وهي مدينة حلب ذاتها . هذا إلى هنات قليلة لا يكاد يخلو منها كتاب منقول إلى لغتنا من لغة أجنبية . أما الترجمة في مجموعها فيستحق عليها المترجم كل ثناء وشكر .

- ٢ -

أحسن مؤلفا في الطهي الحديث على الطراز العربي والغربي وضعه . ألفاه بعد أن عانيا صناعة الطبخ بالعمل في مصر وبلاد

العرب سنين طويلة وعملوا في قصور الملوك والأشراف وفنادق النبلاء والملا ، جاء الكتاب نافعا في باب لا تستغنى عنه ربة دار ، ولا طاه يروقه أن زين خوانه بشهي الألوان ، ويتفنن في تليذ الآكلين بطعام صحي متنوع . جاء الكتاب في ١١٧٠ صفحة كبيرة وصفت فيه الأطعمة والحلويات والتبيلات مشفوعة بالمقادير الواجب استعمالها وبصورة وضعها وصنعها بحيث لا يكاد يحتاج من يريد الاقتباس منها إلا إلى قليل من الدقة والعناية حتى يتفنن في طبخ الطعام ويجهز ألوانا رائعة شائقة شكلا وطعما . وكنا نتمنى لو دفع المؤلفان كتابهما إلى من يصقل عباراته وترجم أسماء بعض الألوان الأفرنجية بالفاظ عربية تدنى مفهومها من ذهن من لا يحسن لغة من اللغات الأجنبية من أبناء العرب

وقد عا ألف أجدادنا في هذا الموضوع بما دل على رسوخهم في الرفاهية ، وقرأنا في الكتب أن الخليفة الفلاني أو الملك الفلاني كان يقدم على مائدته عشرات بل مئات من ألوان الطعام . والتفنن في الطبخ دليل الحضارة ، ولطالما كان بعض الأشراف يرسلون إلى الأقطار البعيدة بعض طهاتهم ليأخذوا عنها صنع أطعمة لا يعرفونها ، والمطابخ الأفرنجية اليوم أدق من المطابخ الشرقية ؛ لأن طعامها يطهى على أساليب كيميائية صحيحة لا نزاع في خفتها وطرافتها . وحضارة الغرب أرق الآن من حضارة الشرق ، اللهم إلا في مسائل يتفرد بها الشرقيون

فليس البحث في الأكل الجيد إذا بالذي بعد انحطاطنا ، ونحن لو أنعمنا النظر لا نفسر هذا الجدال القائم بين البشر اليوم وقبل اليوم وبمعد اليوم إلا على الرفاهية ، وما فلسفة الأمم إلا فلسفة خبز في الواقع . ودعوى خدمة المدنية والانسانية صورة مبهرجة يراد بها غير ما تعطى ظواهرها . والأمة التي يكثر خبزها وتتلون أطعمة المتوسطين والموسرين فيها هي أمة راقية سميدة ، والغرب

الذين عهدنا لهم تلك الخشونة في المطعم لا فتحوا المالك وخرجوا من جزيبتهم أغرقوا في التنطع والتنوق اغراق غيرهم من الأمم محمد كرد علي

التزيم المفتطيسي ١٠

صحيفة بالصور كتاب علمي عملي

قراءة الأفكار وعلم نفسية
سلكات العقل الباطن
موجز التزيم بالصور

للأستاذ ولیم سرهبریس المحامي بمصر
شائع للمرة البرلاقية في ١٥٦١